

الباب الثاني

الاتجاهات الأيديولوجية للصحافة

الدينية في إسرائيل في معالجة

القضايا الخلافية مع العلمانيين

1

**موقف الصحافة الدينية في
إسرائيل من العلمانيين**

تمهيد:

من المعضلات الخطيرة التى تقف عقبة أمام إسرائيل حتى تشعر بقدر من التوازن، يؤهلها لكى تكون دولة طبيعية مستقرة، إشكالية العلاقة بين الدين والدولة، وبالتالي ماهية الدولة ومقوماتها، بمعنى هل تعد إسرائيل دولة يهودية، أم دولة ديمقراطية ودولة لكل مواطنيها. والجدل حول هذه الإشكالية يواكب الجميع فى إسرائيل منذ الولادة حتى الممات. وهو يمثل فى كثير من الأحيان فى إكراه دينى بداية من المطبخ وما يسمح باستيراده من لحوم وأغذية، انتهاءً بالسير فى الطريق العام يوم السبت وفى الأعياد.

"كانت القضايا الاجتماعية وأساليب التنظيم الداخلى هى التى تثير الصراع بين الطرفين فقد ظهر صراع على التمثيل اليهودى الدينى، ورفضت قوى حريدية الاعتراف بالحاخامية الكبرى، واعتبروها مؤسسة صهيونية علمانية تشكل كارثة على الديانة اليهودية، وظهر صراع على مناهج التعليم وأساليبه فى معسكرات المهاجرين، كما ظهر خلاف حول الدستور، والسبت والخدمة العسكرية، والأطعمة، والزواج المختلط، والموقف من حائط المبكى، والآثار والحفريات..."^(١) وكل ما سبق يشير لتوتر حقيقى وحالة استنفار وتحفز حول قضايا خلافية عديدة، من كلا المعسكرين -العلمانى أو الدينى- وإن كانت غالبية الاحتجاجات تأتى من قبل المتدينين، نظرا لأن المتدينين "أقلية منظمة جيدا، إضافة إلى أن غالبية العلمانيين غير ملحدين، ويظهرون تعاطفا مع التقاليد اليهودية"^(٢).

ومن القضايا الخلافية أيضا أسلوب التعامل والنظرة للعلمانيين حيث يعود الصراع بين العلمانيين والمتدينين فى إسرائيل إلى ما قبل نشأة الدولة، ولا يعتبر

(١) راجع: صلاح الزرو، المرجع السابق، ص ٤١٩ - ٤٢٧.

(٢) صلاح الزرو، المرجع السابق، ٤١٩.

صراعا حديثا، ولكنه صراع قديم مرتبط بطبيعته بالعلاقة بين العلمانيين والمتدينين في أوروبا، والولايات المتحدة، قبل أن تنشأ إسرائيل. فقد انقسم المجتمع اليهودي خارج فلسطين إلى غالبية علمانية وأقلية متدينة. والصراع بين المعسكرين يعد "الأخطر بين القضايا الخلافية في إسرائيل"^(١). فقد أكد استطلاع للرأى أجراه معهد "دحاف" الإسرائيلي، أن "مشكلة التوتر بين المتدينين والعلمانيين تعد حاليا أكثر المشاكل إزعاجا. فردا على سؤال: إلى أى حد يمثل التوتر بين المتدينين والعلمانيين مشكلة في المجتمع الإسرائيلي أجاب ٧٠٪، إنها تمثل "مشكلة صعبة"، بينما قال ١٨٪ فقط أنها "لا تمثل مشكلة"^(٢)، وهو ما يدلنا على مدى الأهمية التي يوليها المجتمع الإسرائيلي لهذه المشكلة.

وفي السياق نفسه أكد استطلاع آخر للرأى العام، "أجرى عام ١٩٩٨، بين مجموعة من اليهود في القدس أن ٥٨٪ يعتبرون أن العلاقات بين المتدينين والعلمانيين هي أخطر مشكلة تواجه الدولة، مقابل ٢٣٪ يرون أن العلاقات بين اليهود والعرب هي المشكلة الأشد خطرا. ووصف غالبية الإسرائيليين في أواخر التسعينيات العلاقات بين اليهود المتدينين واليهود غير المتدينين في إسرائيل بأنها: علاقات "سيئة"، وأشار حوالى ٢٥٪ من السكان اليهود في إسرائيل إلى أحداث "غير إيجابية" مصدرها اليهود المتدينون، وتحدث ٦٨٪ في بحث أُعد في أواخر الثمانينيات عن انطباعات غير إيجابية تكونت لديهم تجاه يهود متدينين"^(٣). وهذا كله يؤكد أن التوتر بين المتدينين والعلمانيين يوشك أن يشهد مزيدا من التصعيد في الفترة القادمة.

وبشكل عام، "يتهم المتدينون العلمانيين بالجهل بقواعد الديانة اليهودية وبالأمية الدينية، ويرون أن هذا الجهل يحول دون قيام حوار بين الجانبين، مما يؤدي إلى

(١) ابנר הורוביץ-עורך، שנתון דת ומדינה תשנ"ג-תשנ"ד، הדקלי، תל אביב، ١٩٩٤، עמ' ٣٦.

(٢) ידיעות אחרונות، ١٩-٩-١٩٩٨، עמ' ١.

(٣) ישעיהו ליפמן، المرجع السابق، ص ٤.

تصاعد موجات الحقد والكراهية بين الفريقين. بينما ينصب هجوم العلمانيين على المتدينين على وصمهم بالتشدد الدينى، والتعصب^(١). هذا مع ملاحظة أنه بعد حرب ١٩٦٧ أصبح هناك "استخدام للميثولوجيا"^(٢) اليهودية من أجل تبرير المواقف السياسية البراجماتية، وبدأ الزعماء العلمانيون فى استخدام الرموز الدينية والأفكار الدينية الغيبية، على اعتبار أن الشخص الذى يستخدم التبريرات الدينية ينظر إلى نفسه كيهودى أكثر، كما أنه يستطيع أن يلفت أنظار الآخرين إليه على اعتبار أنه، وبالرغم من علمانيته، يوقر الدين ويحترمه ويستخدمه فى تبرير مواقفه^(٣). وهذا الأسلوب يتبعه بشكل خاص قادة اليمين الإسرائيلى المتطرف، حيث يسهل عليهم اقناع الناخبين المتدينين وقطاعات من العلمانيين بتأييدهم فى الانتخابات.

ومن المتبع عند تحديد الاتجاهات الدينية لليهود الإسرائيليين، تصنيفهم إلى "متدينين" و"تقليديين" و"غير متدينين". وفى بعض الأحيان يقوم الباحثون باستبدال مصطلح علمانى بمصطلح "لا دينى". وسنطلق مصطلح "علمانى" على مجموعة أوسع، تحوى فى داخلها كل من هولىس دينيا.

وإذا كنا قد قسمنا يهود إسرائيل إلى: متدينين وغير متدينين، فإن "غير المتدينين" ينقسمون إلى: تقليديين وعلمانيين. ولم تتم فى إسرائيل إحصاءات، يطلب خلاها من السكان اليهود وصف أنفسهم وفق انتماءاتهم الدينية. وبصورة عامة، فإن المصطلحات الثلاثة الشائعة فى إسرائيل هي: "متدين"، و"تقليدى"، و"علمانى"، مع ملاحظة أنه لا يمكن تحديد أرقام دقيقة قاطعة لأنصار المعسكر العلمانى وأنصار المعسكر الدينى.

وعلمانى بالعبرية אִלְמַנִּי، مشتقة من אֵל، التى تعنى "غير مقدس"، ويشار بها، على سبيل المثال، لبقية أيام الأسبوع من غير يوم السبت. وقد انتشرت الكلمة

(١) راجع: محمد خليفة حسن (د)، المرجع السابق، ص ٦٠.

(٢) الميثولوجيا: الأساطير الدينية.

(٣) رشاد عبد الله الشامى (د)، إشكالية الهوية فى إسرائيل، مرجع سابق، ص ٢٢٣.

للدلالة على العلمانية، وهي على كل حال تشير لطابع حياة غير متدين، ويدور الصراع بين العلمانيين والمتدينين حول رفض كلا الطرفين، خاصة المتدينين لأى أسلوب حياة أو وجهة نظر مخالفة لأرائهم. وينبع التدين من الإيمان بما هو فوق الحواس والطبيعة (الغيبات). و تشير الكلمة للاستقرار والطمأنينة. ورغم أن "الديانة اليهودية بشكل خاص تركز على "الهالاخاه" (الشريعة)" ^(١) فإن "٨٠٪ من الإسرائيليين تقريباً هم من العلمانيين، بينما ٢٠٪ فقط متدينون" ^(٢). ولا تزال الأغلبية في إسرائيل علمانية، لكن الأقلية المتدينة تسعى بكل قوة لسن قوانين تؤكد أن السيادة العليا للشريعة اليهودية، وهو ما يعنى بالتالى، اكرهاها دينيا للقطاعات العلمانية فى المجتمع.

"وقد ظهرت كلمة "حيلونى" العبرية، التى تستخدم للإشارة إلى العلمانى فى إسرائيل حالياً، لأول مرة فى كتاب "المدراش" ^(٣) الدينى، من خلال قصة عن لقاء كاهن أعظم كان يسير فى الطريق وقابل "حيلونى". وهناك محاولات لاستبدال هذه الصفة بكلمات مثل "حر" (حوفشي)، و"ليبرالى" أو "الجمهور العام" (هتسبور هكلالي)، ولكن لم تحل أى من هذه التعبيرات محل الكلمة الأصلية "حيلونى"، والتى أصبح معناها الشائع هو العلمانى أو المعادى للدين" ^(٤).

(١) نأ לעיין: ידידה יצחקי. בראש גלוי, אוניברסיטת חיפה, זמורה ביתן, 2000, עמ' 14: 20.

(٢) محمد محمود أبو غدیر(د)، الصراع الدينى العلمانى داخل الجيش الإسرائيلى، مرجع سابق، ص ٦٥.
(٣) المدرش: كتب التفسير، من الكلمة العبرية "درش"، أى "استطلع" أو "بحث" أو "درس" أو "فحص". والكلمة تُستخدم للإشارة إلى منهج فى تفسير العهد القديم يحاول التعمق فى بعض آياته وكلماته، والتوسع فى تخريج النصوص والألفاظ، والتوسع فى الإضافات والتعليقات، وصولاً إلى المعاني الخفية، كما تشير لثمرة هذا المنهج من الدراسات والشروح. وقد تم البدء فى تدوين كتب المدرش بعد عدة قرون من إلقاء المواعظ. وهناك نحو أربع وعشرين مجموعة مدرشية. وتنقسم كتب المدرش إلى نوعين: المدرش التشريعى الهالاخي (مشنوي)، والمدرش الأجادي. (انظر: عبد الوهاب المسيرى(د)، المرجع السابق، المجلد الخامس، ص ١٤٣).

(٤) رشاد عبد الله الشامي(د)، المرجع السابق، ص ٢٧٤.

"وقد وصف أقل من ٥٪ من السكان اليهود أنفسهم بأنهم معادون للدين. وهناك ٢٠٪ من السكان اليهود يعتبرون أنفسهم من غير المتدينين"^(١). وهكذا، فإن اليهودية تنقسم في إسرائيل، وبين اليهود عموماً، إلى يهوديتين: "يهودية دينية، ويهودية علمانية، وتحت هذين القسمين يمكن إدراج عدة يهوديات، تحت كل من مسمى ديني وعلماني، ويتأكد من خلالها عدم وجود هوية يهودية واحدة من ناحية، ووجود اختلاف كبير بين اليهوديات الموجودة، تصل في اختلافها إلى حد الاعتقاد في وجود إله، أو الاعتقاد في عدم وجود إله، وكل هذا يأتي تحت مسمى "اليهودية"^(٢). فالبون شاسع بين غلاة المتطرفين من كلا المعسكرين، وقد عبرت عن ذلك مساجلات كلامية كثيرة على صفحات الصحف وداخل قاعة الكنيس.

أما التشدد الديني اليهودي، فيقوم على الافتراض بأن "الدين الذي يعتنقه أتباع الدين هو الدين الحق، وكل من لا يقبله كاملاً متكاملًا يعد كافراً، جزاؤه الحرق في النار للأبد. ولا يستحق كل مميزات المؤمن بالدين الحق، وعلى المؤمن المخلص أن يبذل كل جهده لإنقاذ الكافرين، ويرشداهم للدين الحق بالحسنى، بقدر الإمكان، أو بالإكراه، والإجبار بأية وسيلة"^(٣). وهو الأمر الذي قد يفجر الموقف ويجعل الصدام الكامل بين المتدينين والعلمانيين أمر محتمل الحدوث بالفعل.

"وقد استخدم هرتزل مصطلح "حماقات الاحتجاج"، عام ١٨٩٧، ليصف به مجموعة من الحماقات الألمان، الذين احتجوا على انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول، وحذروا قيادات الطائفة اليهودية والحماقات من الاشتراك. وقد نجم عن الاحتجاج الأول تغيير مكان انعقاد المؤتمر، الذي كان قد خُطِّط له أساساً أن يعقد

(١) يشعياهو ليفمان، المرجع السابق، ص ٤.

(٢) يعقوب ملكين، اليهودية العلمانية، ترجمة وتعليق أحمد كامل راوي (د)، مراجعة عبد الوهاب وهب

الله (د)، مركز الدراسات الشرقية - جامعة القاهرة، القاهرة، ٢٠٠٣، ص ٣.

(٣) 'יִידִה יצחקי، שם، עמ' 31، 32.

في ميونيخ. وبعد أن فشل حاخامات الاحتجاج في منع انعقاد المؤتمر الأول، نشروا مقالاً مؤداه، أن الصهيونية تناقض آمال اليهود. ونظراً لانفصال هرتزل (وبقية أعضاء القيادة الصهيونية) عن الدين اليهودي، وعدم إدراكهم كثيراً من مفاهيمه، فإن هذا الهجوم كان يمثل مفاجأة كاملة بالنسبة إليهم. فكتب "نوردو"^(١) يتحدث عن خيانة الحاخامات وكيف أنهم "يجب أن يحافظوا على حب اليهود لشعبهم ولأرض إسرائيل". وقد كان نوردو يجهل أن الحب التقليدي لصهيون هو حب ديني لا يترجم نفسه إلى عودة جسدية حرفية، بل يحرم مثل هذه العودة، وأنه يختلف تماماً عن الحب القومي العلماني لأرض الأجداد الذي يُترجم نفسه إلى استيطان"^(٢).

وإذا توقفنا في ضوء ما سبق، عند بداية التوتر في العلاقات بين العلمانيين والمتدينين بعد قيام الدولة، سنجد أن إسرائيل "قد شهدت في العقدين الأولين من عمرها نوعاً من الاستقرار في العلاقة بين العلمانيين والمتدينين. ولكن بعد تنامي قوة الأحزاب والحركات الدينية، تزايد السعي للابتزاز والحصول على مكاسب أكبر"^(٣). "فقد قامت إسرائيل في عام ١٩٤٨ - بتعاون وتضافر الجهود بين العلمانيين والمتدينين - على أساس أن تكون دولة علمانية تقدّم على أنها دينية"^(٤). وهكذا خلفت العلاقة بين اليهود العلمانيين واليهود المتدينين داخل الأيديولوجية الصهيونية مناوشات بينهما. فإذا كان الصهيونيون العلمانيون يوظفون رموزاً مضامين دينية، فإنهم يلجأون إليها لتلبية احتياجاتهم بعد إسباغ معان غير دينية عليها، وهي معانٍ مستمدة من عالمهم القومي العلماني. والدليل على ذلك تحويل

(١) ماكس نوردو: مفكر يهودي ألماني، وزعيم صهيوني سياسي. اسمه الأصلي سيمون ماكسيميليان سودفيلد. وُلد في المجر، عام ١٨٤٩، وكان مبتعداً عن التقاليد اليهودية منغمساً في الثقافة الألمانية مثل هرتزل. وهو يعد إلى حد بعيد ساعد هرتزل الأيمن. وبعد موت هرتزل، عُرضت عليه رئاسة المنظمة الصهيونية العالمية، ولكنه رفض، وظل مستشاراً سياسياً لخلفاء هرتزل. توفي عام ١٩٢٣. (انظر: عبد الوهاب المسيري(د)، المرجع السابق، المجلد السادس، ص ٢٤٥).

(٢) عبد الوهاب المسيري(د)، المرجع السابق، المجلد السادس، ص ٤١٠.

(٣) محمد محمود أبو غدير(د)، المرجع السابق، ص ٢٩.

(٤) يشعياهو ليבוڤيץ، יהדות עם יהודי ומדינת ישראל، הוצאת שוקן، ירושלים ותל אביב 1979، עמ' 156.

بعض الاحتفالات الدينية إلى مناسبات قومية مثل: الاحتفال بـ "عيد الفصح"^(١) بعد تحويله من عيد ذى طابع ديني إلى عيد الحرية والربيع، كما تحول الاحتفال بـ "عيد الحانوكا"^(٢) من عيد تطهير الهيكل، إلى عيد يحتفل به بمناسبة حروب المكابيين^{(٣) (٤)}.

"وتردد عبارة "فصل الدين عن الدولة" بين الحين والآخر في مساجلات بإسرائيل"^(٥)، وإن كان هناك في المقابل من بين المتدينين من يعتبرون أن "العلمانيين في إسرائيل" أغيار يتحدثون العبرية". وقد صدر التصريح الأخير عن جنرال متدين يدعى يعقوب عميدور، وتسبب ذلك في إبعاده عن منصب مدير الاستخبارات العسكرية (أمان)^{(٦) (٧)}. كما تجدر الإشارة إلى المعارضة القوية من

(١) عيد الفصح: يحل في ١٥ نيسان (إبريل)، وهو يمثل ذكرى الخروج من مصر، وفيه يفرض الصوم على البكور عشية الفصح كذكرى لضربة البكور في مصر، التي أنقذ الرب بكور إسرائيل منها. **נא לעיין: שלמה זלמן אריאל، שם، עמ' 139.**

(٢) عيد الحانوكا: عيد الشموع، ويتم الاحتفال به على مدار ثمانية أيام. وهو يرتكز على الفرحة التي عمت بسبب إمكانية استئناف خدمة الرب في الهيكل المقدس. **(נא לעיין: שלמה זלמן אריאל، שם، עמ' 66، 67).**

(٣) المكابيون: يطلق عليهم أيضا الحشمونيون. وكلمة "مكابي" هي اختصار بالحروف الأولى لفقرة جاءت في نشيد انتصار موسى على فرعون تقول بالعبرية: "מי כמוך בשליח يهوه"، أي "من كمثلك بين الآلهة يارب" (م.ك. ب.ي). ويرى الصهاينة أن المكابيين بعثوا الروح العسكرية في الشعب اليهودي وحولوه من شعب مستسلم إلى شعب من الغزاة المقاتلين، ومن ثم، تطلق كثير من المنظمات والأنشطة الصهيونية على نفسها اسم "مكابي" لإحياء تقاليد العنف. (انظر: عبد الوهاب المسيري (د)، المرجع السابق، المجلد الرابع، ص ٢٠٩، ٢١٠).

(٤) أفيفا أفيف (د)، المجتمع الإسرائيلي، ترجمة وتعليق محمد صالح (د)، مراجعة محمد محمود أبو غدیر (د)، مركز الدراسات الشرقية، القاهرة، سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية العدد ٦، ١٩٩٨، ص ٢٤.

(٥) ישעיהו ליבוביץ، שם، עמ' 156.

(٦) أمان: جهاز الاستخبارات العسكرية، واللفظة **אמ"ן** اختصار لكلمتي **"אגף מודיעין"** أي (شعبة معلومات)، وهو تابع لوزارة الدفاع برئاسة أحد أعضاء هيئة الأركان العامة ويساعده أربعة أجهزة هي: أ-جهاز الاستخبارات الخاص بالقوات البرية. ب- جهاز الاستخبارات الخاص بسلاح الطيران. ج- جهاز الاستخبارات الخاص بسلاح البحرية. د- جهاز مكافحة التجسس. وعلى رأس مهام "أمان" الحصول على كل المعلومات السرية عن القوات المسلحة العربية، ووضع تقييم عسكري حول استعدادات دول المواجهة، والمقاومة الفلسطينية، واحتمالات الهجوم، وهو يشرف أيضا على صفقات الأسلحة وأسراها. (انظر: يوسف أبو بكر، نبيل سالم، حرب المعلومات بين العرب وإسرائيل، دار الجليل، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٨٩، ص ٤٥).

(٧) راجع: محمد محمود أبو غدیر (د)، المرجع السابق، ص ٧١.

جانب مؤسسات الحاخامات لطقوس الاحتفال بعيد الفصح على غرار ما يحدث في القرى التعاونية "كيبوتس"^(١). فتلك القرى مثل قطاعات علمانية كثيرة تحتفل بهذا العيد وبأعياد يهودية أخرى كنوع من الفلكلور أو التعبير عن الانتماء لدولة إسرائيل، وليس تعبيراً عن التزام ديني بالضرورة.

وإذا تعرضنا لمعالجة الصحف الدينية في إسرائيل للقضية سنلاحظ أن الصحافة الدينية في إسرائيل تستخدم، في كثير من الأحيان، أسلوب التعمية والتلميح عند الاصطدام بالعلمانيين، وتعتمد في هذا على تكرار التوصيف ضد العلمانيين، مما لا يتيح أى فرصة سوء فهم لدى القارئ المتدين، ويوضح ما سبق "تكرار استخدام عبارة "ذوى رأى طاهر"، عند الحديث عن الصحفيين العلمانيين، بينما المقصود في الواقع أنهم "ذوو رأى فاسد"، وهو ما يفهم من السياق. وكذلك وصف التعليم العلماني بأنه "تعليم متقدم"، بينما السياق يتحدث عن تسببه في امتلاء السجون بالمجرمين"^(٢).

و"يرى الأديب حاييم بيثر"^(٣) (صاحب أشهر رواية عبرية عن الصراع بين المتدينين والعلمانيين في إسرائيل وعنوانها "ريش") ، أن هناك توتراً رهيباً بين المتدينين والعلمانيين، ومن الممكن أن تنشب حرب ثقافية ، وكلما كان المناخ مناخ سلام، فإن احتمالات هذه الحرب ستكون كبيرة"^(٤).

وهناك من بين صفوف "الصهيونية الدينية"، من يحاول التهوين من حجم الفجوة بين العلمانيين والمتدينين، فيقول يعقوب أريئيل تحت عنوان "تعاون مع العلمانيين": "هنا يبرز تميز الصهيونية الدينية الأساسية، في مقابل أقسام اليهودية

(١) أفيفا أفياف (د)، المرجع السابق، ص ٢٤.

(٢) נא לעיין: אמנון לוי, החרדים, כתר, הדפסה שתיים עשרה, 1990, עמ' 252.

(٣) حاييم بيثر: من مواليد ١٩٤٥ بالقدس نشأ وسط عائلة يهودية أرثوذكسية متشددة، وقد كتب في صحيفة دافار عموداً أسبوعياً، لأكثر من عشر سنوات. وهو يكتب الشعر والنثر، وحاز عدة جوائز أدبية، ومن أشهر أعماله الرواية القصيرة "ريش"، الصادرة عام ١٩٧٩ عن دار نشر "عام عوفيد".
(انظر: Gershon Shaked (Editor), HEBREW WRITERS- AGENRAL DIRECTORY,

The Institute for the Translation of Hebrew Literature TEL AVIV, 1993 P.28).

(٤) رشاد عبد الله الشامي (د)، المرجع السابق، ص ٢٩٩.

الدينية الأخرى. فلم ينكر أحد قدسية أرض إسرائيل. أو أن استيطانها فريضة، ولكن دار الجدل بشكل رئيسي حول ما إذا كان هناك مبرر للاشتراك مع العلمانيين في ممارسة هذه الفريضة الهامة. وبالفعل كان الثمن الذي دفعته الصهيونية الدينية مقابل هذا التعاون كبيراً للغاية. فمن أجل استيطان الأرض وإقامة دولة بها وإدارتها وانطلاقاً من مسؤولية إسرائيلية عامة توجد ضرورة للاعتراف بوجود وبشراكة يهود علمانيين ممن هبوا لبناء "أرض إسرائيل". فبدون التعاون معهم لم يكن من الممكن استيطان الأرض وإقامة الدولة^(١). وقد سبق الإشارة - في الباب الأول من الدراسة - إلى أن الحاخام تسفى كوك دعا - كوالده - إلى التعاون الوثيق مع العلمانيين في إسرائيل، حتى ولو خالف هؤلاء تعاليم الدين، من أجل تحقيق حلم "إسرائيل الكبرى"^(٢).

لكن الحقيقة على أرض الواقع، هي أن البون شاسع، "فاليهودية العلمانية يهودية بدون إله، وهي يهودية بلا شريعة، تفضل المبادئ على الفرائض. وفي الوقت الذي ينظر فيه اليهودي المتدين إلى اليهودية على أنها ديانة، يعتبرها اليهودي العلماني ثقافة"^(٣).

ووفقاً لاتفاق "الوضع الراهن"، يسيطر الحاخامات على الحياة المدنية للمواطنين في إسرائيل، ومن المظاهر الصارخة على هذا: أنه "لا يمكن دفن الميت إلا بعد إعلان انتماؤه الديني، حيث أن المدافن مقسمة، بدقة حسب الأديان، بل إنه خصصت مدافن خاصة للحالات الملتبسة، مثل الذين يعتبرون أنفسهم يهوداً، ولكن الحاخامات لا يعترفون بهم. والأمر الأسوأ فيما يخص الزواج، فالمملحدون عليهم السفر إلى الخارج ليتموا زواجهم، والطلاق يتم حسب الشريعة اليهودية بإرادة الزوج وحده. وكثيراً ما تسمح المحاكم الحاخامية - التي تتحيز عادة للرجال - بالزواج الثاني للرجل، دون قيامه بتطليق الزوجة الأولى لأسباب واهية،

(١) יעקוב אריאל - www.daat.ac.il/daat/kitveyet/shana/ariyel-4.htm

(٢) راجع: صلاح الزرو، المرجع السابق، ص ١٧٧.

(٣) يعقوب ملكين، المرجع السابق، ص ٤، ٣.

مثل رغبته في إنجاب وريث ذكر، أو أن شكل الزوجة لم يعد جذاباً، أو أنها لا تحيد الطبخ"^(١).

وفي السنوات الأخيرة وبعد نمو العالم المتدين في إسرائيل، تزايد تدخل الأرثوذكس في الحياة اليومية، فنجد شركة "دان" لحافلات نقل الركاب "نزود حافلاتها، الثلاثة آلاف، بلوحة كتبت عليها الصلاة الخاصة بأخطار الطريق، وقامت شركة "إيجيد" المنافسة بتعيين "استشاري أرثوذكسي" لمراجعة الإعلانات المكتوبة على السيارات بكل دقة"^(٢). ثم اتخذت شركة "إيجيد"، خطوة أخرى نحو الغزل المكشوف للمتدينين "بتخصيص خطوط أتوبيس في القدس يصعد إليها الرجال من الباب الأمامي، بينما تصعد النساء من الباب الخلفي، وهو الإجراء الذي أثار حفيظة الغالبية العلمانية، وذكرهم بإجبار السود في الولايات المتحدة على الجلوس في المقاعد الخلفية في المواصلات العامة، حتى ثار مارتن لوثر كينج على هذا الوضع العنصري"^(٣).

وعلى هذا الأساس يتضح لنا أنه تمت ترجمة زيادة النمو الطبيعي بين المتدينين في إسرائيل، نتيجة ارتفاع نسبة المواليد بين عائلات المتدينين، إلى قوة سياسية، من خلال زيادة أعداد من لهم حق التصويت، وهو ما عبرت عنه بشكل خاص نتائج حزب "شاس" الديني (في أغلب الانتخابات منذ قيامه) وخاصة في انتخابات الكنيست، حين حصل على ١٧ مقعداً ليصبح ثالث قوة برلمانية، بعد العمل والليكود، بالإضافة لعشرة مقاعد أخرى صريحة لمتدينين. ولكن بشكل مواز لا تزال الأغلبية في إسرائيل غير متدينة. فحسب بيانات إسرائيلية رسمية "يمثل اليهود الملتزمون بالفرائض والشعائر الدينية نحو ٢٠٪ من جملة عدد اليهود في إسرائيل، وهم من يطلق عليهم "الأرثوذكس"، بينما يلتزم نحو ٦٠٪ من اليهود في إسرائيل بقسم فقط من الفرائض والشعائر، ويطلق عليهم تقليديون، في حين يعلن

(١) إيمانويل هيان، المرجع السابق، ص ١٠٤، ١٠٥.

(٢) نفس المرجع، ص ١٠٦.

(٣) نعמי חזן، "נוסעות סוג ב'", מעריב، 4-1-2004.

٢٠٪ من اليهود في إسرائيل أنهم غير متدينين على الإطلاق. ومن المؤشرات الهامة أيضا في هذا المجال التحاق نحو ٣٠٪ من الأطفال بالتعليم الديني. أى أن غالبية المجتمع اليهودي هم يهود علمانيون، لكن من المحتمل مستقبلا أن تتغير هذه النسب، على خلفية زيادة المواليد بين المتدينين، الأمر الذى قد يكون من شأنه تولى أول رئيس وزراء متدين مقاليد الحكم في إسرائيل^(١).

وقد عبر عن خطورة تصاعد دور اليمين الدينى اليهودى استطلاع للرأى، أظهر أنه كلما ازدادت درجة التدين وشدته كلما انخفضت نسبة التأييد للسلام. "٨٢٪ من المحافظين على التقاليد يؤيدون المسيرة السلمية. فى مقابل تأييد ٧٨٪ من العلمانيين لتلك المسيرة، وتأييد ٤٣٪ فقط من المتدينين لمسيرة السلام، وتصل النسبة بين المتدينين المتشددين إلى ٢٥.٥٪. وهى العلاقة التى تظهر أيضا عند التعرض لقضايا بعينها مثل الموقف من اتفاقات أوسلو، والتشدد بشأن أهمية أرض إسرائيل الكاملة^(٢)، والاستعداد للتضحية من أجل الدولة. والنظرة لياسر عرفات^(٣)".

كما عبر عن نمو التيار الدينى وميله نحو التصعيد ضد العلمانيين أنه "فى الشهور التى سبقت انتخابات ١٩٩٦ بشكل خاص وبعد عدم رد المتدينين على اغتيال إسحق رابين تصاعدت حدة هجمات الصحف الحريدية على العلمانيين وعلى اليسار بشكل متصاعد وباطراد. ففى افتتاحيات هيئة تحرير "يتيد نثمان" -لسان حال الحاخام شاخ- والمعتدلة، ساد مناخ التطرف. و تم مرارا وتكرارا "وصف اليسار بأنهم: دهماء أو رعا، وغير يهود، وعماليق^(٤)".

(١) حقائق عن إسرائيل، وزارة الإعلام الإسرائيلية، القدس ١٩٩٤، ص ٣٠.

(٢) أرض إسرائيل الكاملة: مصطلح يشير عند الأغلبية إلى الوضع الذى انتهت إليه حرب ١٩٦٧، وإن كانت أقلية تعتبر أنه يشير أيضا إلى الضفة الشرقية من نهر الأردن وأجزاء من سوريا ولبنان. (راجع: آرييه نيثور، مفهوم أرض إسرائيل الكاملة، ترجمة وإعداد: أشرف الشراوى(د)، مختارات إسرائيلية، مرجع سابق، العدد ١١١ - مارس ٢٠٠٤، ص ٨).

(٣) استطلاع للرأى حول مستقبل العملية السلمية، صحيفة هآرتس، ٤-٩-١٩٩٧.

(٤) عماليق: شعب قديم كان أول من حارب بني إسرائيل عند تيههم فى الصحراء، وخرج منه هامان، والكلمة تعني سباب فهو وصف لكاهن إسرائيل ككلاب وحمير. (انظر: **אברהם אבן שושן**، **המלון העברי המרכזי**، קרית ספר، ירושלים، ١٩٨٨، עמ' ٥٢٧).

وقد ركز الحاخام موهيلفير كل جهوده على التوفيق بين العلمانيين والمتدينين، بناءً على القول الوارد على لسان أحد العلماء في التوراة: "إن الله يفضل أن يعيش أبناؤه في أرضهم، حتى ولو لم ينفذوا تعاليم التوراة، على أن يعيشوا في المنفى وينفذوا تعاليمها"^(٢). لكن على أرض الواقع نجد ابتزازاً مستمراً، من قبل الأحزاب الدينية للحكومات الإسرائيلية المتعاقبة، وهو ما حدث حتى مع "باراك" الذي كان يخطط ويدعو لثورة مدنية علمانية، لكنه خضع في النهاية لابتزاز الأحزاب الدينية وتراجع عن خطته، التي كان ينوي القيام بها، فتراجع عن تجنيد طلبة المدارس الدينية، بعد أن فشل منذ البداية في تشكيل حكومة متجانسة، حيث جمع بين المتدينين المتشدد والعلمانيين الراديكاليين، في بوتقة واحدة"^(٣).

والأرثوذكس لا يترددون في الخروج من أحيائهم، لفرض أخلاقياتهم على الآخرين، "فقد أحرقوا بعض محطات الأتوبيس، لأنها حملت إعلانات بها صور نساء بملابس ليست بالقدر الكافي من الاحتشام، كما ألقيت قنبلة على أحد متاجر الجنس في القدس، نظراً لأن التساهل في موضوعات الجنس هو أحد الاهتمامات الخطيرة لهؤلاء المهووسين بالأخلاق الحميدة"^(٤). مما يدل على شعور أنصار القوى الدينية بتنامي قوتهم، وقدرتهم على السعي لتغيير الوضع الراهن وفرض الشريعة وقناعاتهم الشخصية على المجتمع الإسرائيلي.

وبالنسبة لاحتمالات الصدام في المستقبل فإننا نرى أن الإيمان بتقديم المبادئ الديمقراطية والإنسانية على فرائض الشريعة، هو أساس الاختلاف بين الأرثوذكس والعلمانيين في إسرائيل. ويؤدي هذا الاختلاف بدوره إلى حرب ثقافية

(١) سפי רכלבסקי، חמורו של משיח، ידיעות אחרונות וספרי חמד، 1998، עמ' 314.

(٢) رشاد عبد الله الشامي (د)، القوى الدينية، مرجع سابق، ص ٨٨.

(٣) راجع: عبد العليم محمد (د)، انتفاضة الأقصى والاستقلال - تحديات وآفاق، مركز الإعلام العربي، القاهرة، ٢٠٠٣، ص ٣٩.

(٤) إيمانويل هيمن، المرجع السابق، ص ١١٠.

متأججة في إسرائيل، بين أغلبية السكان الذين يؤمنون بقيم الديمقراطية، وبين الأقلية الأرثوذكسية التي تؤمن بتقديم الشريعة على الديمقراطية وقوانين الدولة" ويجدر بنا هنا أن نوضح أن التوفيق بين هذه المعتقدات يعد أمراً مستحيلاً، لأنها على طرفي نقيض، لذا يمكن بالفعل القول بأن الحرب الثقافية والسياسية المستعرة حالياً بدأت تنشب أيضاً على مستويات عدة جديدة منها المستوى الاقتصادي. ومن هنا فإن القضية، مرشحة لمزيد من التصعيد والصدام، خاصة وأن الحكومات العلمانية المتعاقبة لم تتبع الأساليب الديمقراطية الحقيقية مع فلسطيني الـ ٤٨ الذين يحملون الجنسية الإسرائيلية.

موقف الصحافة الدينية من قضية العلمانيين والمتدينين

أ - نفى الآخر العلماني والتخويف منه

تتخذ الصحافة الدينية موقفا عدائيا من العلمانيين وصل إلى أبعد درجات التطرف بعد أن وصل هذا الاتجاه إلى اعتبار العلمانيين لا يتمتعون للبشر على الإطلاق، أي أنها ساوت بينهم وبين "الجويم" (غير اليهود) وفق الرؤية التلمودية، الذين يتبوأون مكانة الحيوانات، بينما يعد اليهود المؤمنون، هم البشر الحقيقيون. وهو ما عبرت عنه صحيفة "هشافوع" (الحريدية):

حيث نُشر بها مقال رأى يقول:

"إن العلمانيين بهائم في صورة بشر و يتوجب على المتدين الابتعاد عنهم، ليس فقط لأن هناك جدلا بين فريقين، بل لأنهم بهائم .. بهائم متطورة هيئتها الخارجية هيئة بشرية، لقد فرضوا على أنفسهم قوانين البهائم وبقينا نحن بمفردنا بشر. ومن هنا بدأت المشاكل السياسية فلا توجد للبهايم دولة أو شعب أو أي شيء، فهي تعيش في حظائر الأبقار وليس في منزل. ينتقل لنا أيضا فيروس الحيوانية العلمانية من خطوط الأعداء، لذا هناك من يصاب به ممن يرتدون الزي الديني"^(١).

يؤكد الاقتباس السابق بشكل قاطع على الرفض الكامل للتعاور أو التعامل الإنساني مع العلمانيين ويجدر بنا أن نوضح هنا أن موقف الصحافة الدينية من العلمانيين هو موقف مستمد من الفتاوى الدينية الصادرة عن رجال الدين في هذه الصحافة، فقد نشرت صحيفة "هموديع"، ردا على سؤال ورد من يهودي يستفسر فيه عن المساواة بين البشر، فتوى لرجل دين تقول:

"هناك فروق في الأطفال فور ولادتهم، فهناك من يتم تشكيل روحهم في مكان عالٍ للغاية وهناك من تأتي روحه من مكان منخفض، رضيع عمره

يوم واحد، روحه يهودية، وهناك من يولد وروحه روح أحد الأغيار. وكما قال "يهودا هليفي" في كتابه الكوزاري هناك فرق جوهري بين الجهاد والنبات، وبين النبات والحيوان، وبين الحيوان والمتكلم (الإنسان). إن هناك farkا أساسيا عميقا بين روح اليهودي وروح غير اليهودي. لشعب إسرائيل سمو روحى يفوق كل أغيار الأرض، ومثلما هناك أعضاء فى جسم الإنسان أساسية الروح مرتبطة بها أهميتها كبيرة وهناك أعضاء الروح غير مرتبطة بها وبالتالي أهميتها أقل، فإنه يتوجب أن تكون هكذا الأمور فى كل ما يتعلق بمكانة شعوب العالم"^(١).

و يتضح مما سبق أن قدسية شعب إسرائيل لا تنتج عن عمل ما، بل تنجم عن رؤية مقدسة وعليها لكونهم يهودا. وتجدر الإشارة هنا، إلى أن الصحف الدينية لا تسعى لمزيد من التفاهم فى العلاقات بين العلمانيين والمتدينين، بل هى مجرد انعكاس لتوتر واحتقان موجود بالفعل ولا يمكن تجاهله.

وفى صحيفة "هموديع" نشر مقال بقلم رئيس التحرير تحت عنوان:
"حاحامات يدعون للحذر فى اختيار محاضرين للدورات الدراسية" جاء فيه:

"دعا حاحامات لمزيد من الحذر عند اختيار محاضرين ومعلمين فى الدورات فى المجالات المختلفة، حيث تفشت مؤخرا ظاهرة مشاركة نساء ورجال أيضا فى دورات منفردة مثل: دراسة تأثير الخطوط على الشخصية، والانعكاسات النفسية، والعرشة فى اليد، لدى محاضرين ليسوا من أتقياء التوراة والمحافظة على الوصايا.

وقد وصلت للحاحامات شكاوى من هؤلاء الذين أحسوا بالخسران نتيجة المشاركة فى دورات كهذه لدى محاضرين علمانيين، ممن استغلوا هذا كمنبر للتحدث بكفر وتجديف خطير. وقد دعا الحاحامات الجمهور إلى فحص كل توجه لدورة فحصى صارما من ناحية الشريعة وحدود الحشمة والمكائد. وأوضحوا أنه، حتى إذا نجحت دورة ما فى الإعلان عن نفسها

(١) م. م. ألهز، هموديع، ١- 12- 2001.

في الصحافة الحريدية، فإن هذا لا يعنى ضمنا أنها جديرة بحضور الجمهور لها"^(١).

وسعيًا للتخويف من الآخر العلماني وعدم الاقتراب من نقاط التلاقى معه، فإن غالبية الصحف الدينية، وخاصة الحريدية منها، تدعو لمقاطعة شبكة الإنترنت، بل وتحرم استخدامها ولو في العمل وتطبق هذا على نفسها، لذا نجد صحيفة "يتيد نثان" تؤكد على أن:

"الإنترنت حرام حتى ولو كانت بهدف العمل، فهي تحتوي على سم قاتل..."^(٢)

وفي السياق نفسه ذكرت صحيفة "يوم ليوم" في عنوانها الرئيسي بالصفحة الأولى:

"إن وفد لجنة "عم إيجاد" (شعب واحد) والذي وصل لإسرائيل اجتمع مع رئيس الوزراء وأوضح مخاوف الشعب اليهودي من تحول دولة إسرائيل لدولة علمانية.

يذكر أنه وصل هذا الأسبوع في زيارة لإسرائيل أعضاء "عم إيجاد" (شعب واحد)، وفد زعماء اليهودية الأرثوذكسية في الولايات المتحدة، لإجراء سلسلة لقاءات مع زعماء اليهود "الحريديم"، ومع قادة الدولة، كذلك ضمنوا جدول الأعمال تلك المواضيع.

وفي مساء يوم الاثنين اجتمعت مجموعة من الوفد مع رئيس الوزراء إيهود باراك. وأعربت أمامه عن مخاوفها من تحول الدولة لدولة علمانية فتفقد طابعها اليهودي وبشكل تلقائي تفقد حقها في الوجود"^(٣).

ومن النص السابق، نجد أن سياسات التخويف من "تحول الدولة لعلمانية" هي بند أساسي في خطاب الصحيفة الناطقة بلسان "شاس". وهو الأمر الذي قد يؤدي إلى صدام دموي كبير، وهو ما عبر عنه بوضوح استطلاع للرأي ذكر أن: ٥٥٪ من

(١) סופר המודיע، המודיע، ١٤ - ١ - ٢٠٠٠، עמ' ٢.

(٢) יתד נאמן، 13 - 11 - 1998، עמ' 2.

(٣) יום ליום، 20 - 1 - 2000، עמ' 1.

الإسرائيليين يعتقدون بأن ثمة فرصة متوسطة إلى كبيرة لحدوث اغتيال سياسي آخر في إسرائيل. وقد كشف عن هذه الحقيقة أيضا، استطلاع للرأى العام أجرته جمعية "جشر"، التى تعمل من أجل النهوض بالتفاهم بين المتدينين والعلمانيين^(١).

ولا تقتصر سياسة التخويف التى تتبعها الصحف والاتجاهات الدينية ضد العلمانيين على الكلام فقط، فهى تصل إلى حد الاعتداءات المسلحة، ومن أدلة ذلك قيام المتطرف الدينى "يونا افروشمى" بالقاء قنبلة على مظاهرة لحركة "السلام الآن"^(٢).

وفى صحيفة "هتسوفيه" كتب "مثير جروس" مقال رأى تحت عنوان "أى الصحف تقرأ؟" يتضمن احتجاجا لتجاهل المؤسسات العلمانية والصحافة العلمانية للصحافة الدينية، وخاصة صحيفة "هتسوفيه" الناطقة بلسان الحزب الصهيونى الدينى "المفدال"، ويحاول كاتب المقال أن يستخلص نتائج من هذا التجاهل:

"أى الصحف أنت معتاد على قراءتها؟ هذا السؤال مسجل فى بطاقة تسجيل لشركة "ميكروسوفت إسرائيل" التى تطلب من عملائها بيانات مختلفة: اسم، وعنوان، ومصدر الشراء وفى النهاية السؤال عن الصحف التى اعتدت قراءتها. ويجب الإشارة على الإجابات بعلامة، من بين عدة خيارات. توجد فى مجموعة الاختيارات عدة صحف متخصصة وكذلك ثلاث صحف يومية: يديعوت أحرونوت، معاريف، هآرتس و.. فقط. لا يوجد أكثر من ذلك. يستطيع من يصر على قراءة هتسوفيه، على سبيل المثال، أن يملأ التصنيف "أخرى". هتسوفيه بشكل خاص ليست أخرى. اتضح أن للسؤال تأثيرات بشأن ميزانيات إعلان وأشياء أخرى.

(١) "سكرو: مخزيت הצבור סבורים שיש סיכוי לרצח פוליטי נוסף בישראל"، הצופה، 2 - 11 - 2003.

(٢) تم الهجوم خلال مظاهرة للسلام نظمت عام ١٩٨٣، أمام مقر ديوان رئيس الوزراء الإسرائيلى، وقد أسفر عن مصرع متظاهر من نشطاء حركة السلام الآن. See: www.peacnow.org.il

وفي نفس الموضع حدث أنهم في "جيروزاليم بوست"، عدد يوم الأحد من شهر كسليف، في الصفحة الأولى لأعلى، تحت العنوان الرئيسي، يبيروننا بأنه يوجد في الصفحة الثالثة استعراض للصحافة العبرية. و.. هل يمكنكم -أيها القراء- توقع بقية السيناريو؟ توقعتم؟ صحيح. هناك ثلاثة عناوين رئيسية مصورة وهذه المرة لم يتغير شيء سوى أن الصحف جاءت بترتيب مختلف: هآرتس، معاريف ويديعوت. تفسيرات أخرى لا لزوم لها"^(١).

أولى الكاتب في الاقتباس السابق أهمية قصوى -عبر عنها من خلال اختيار العنوان الرئيسي للموضوع- لقضية الإهانة بالتجاهل للصحافة الدينية في إسرائيل من قبل إحدى الشركات وما يستتبعها من عواقب مالية متمثلة في عقود إعلانات لصحيفته. والاقتباس يؤكد النفي المتبادل بين المعسكرين كل للآخر، وإن كانت الصحافة الدينية لا تتورع عن رفع الأصوات بالشكوى من تجاهل العلمانيين لها، على الرغم من أنه تجاهل متبادل، بل وتحرص عليه بشدة الصحف وغالبية القراء المتدينين.

وهنا نجد أن الأزمة والقضية هي: تجاهل العلمانيين للقوى الدينية وصحافتها وشعب إسرائيل والاهتمام بالعلمانيين والأغيار بها يهدد العهد بين الشعب والرب. وهو ما يهدد أيضا بإنزال عقوبة سماوية على شعب إسرائيل. والمثير للسخرية أنه واضح للعيان وجود اتجاه بين المتدينين لنفي الآخر، وبالتالي مقاطعة صحفه التي يطلقون عليها الصحافة المسائية. أو الصحافة العامة.

ب- دمع العلمانيين بالعنصرية

تميل الصحافة الدينية إلى دمع العلمانيين بالعنصرية، وتحوين من يقدمون لهم يد المساعدة، وقد ورد في صحيفة "هتسوفيه" مقال تحت عنوان "العنصريون الجدد" جاء فيه:

(١) מאיר גרוס، "אילו עיתונים אתה קורא؟"، הצופה، 2 - 12 - 1997، עמ' 3.

"إن أفكار مرشحة حزب العمل لرئاسة بلدية رعنتا، "رينا برتل"، متطابقة في الواقع مع أفكار ميرتس، لكن لكي تزيد من فرص نجاحها أمام رئيس المدينة الحالي "زئيف بليسك" (ليكود) تنافست في فرع حزب العمل المحلي المنقسم وفازت. جواد الرهان في الانتخابات الخاص بها هم الحريديون، وهي تعد ناخبها بأنها ستردعهم.

أسكن لأكثر من عشرين عاما في رعنتا ولم أجد الحريديم الذين وعدت "برتل" بأن تردعهم. يوجد أدمور في رعنتا، الأغلبية الساحقة من أتباعه ليسوا حريديم، والعدد القليل من الحريديم الذين في هذا الفناء تجاوزوا السن الذي يمكنهم فيه تهديد العادات العلمانية الخاصة بـ "برتل". وإذا بحثوا بعدسة مكبرة ربما يجدون من ٢٠ إلى ٣٠ حريدي في رعنتا كلها (هذا العدد لا يشمل عائلة تسيمرمان). لكن اتضح أن خطر الحريديم في رعنتا هو، على الرغم من هذا، خطر حقيقي. الأمر الذي يدفع صحفية من الجريدة المحلية الأسبوعية "عل هشارون" للاستقالة من الصحيفة حتى تنضم للمكان الثاني في قائمة "ميرتس". ولماذا كل هذا. حتى يتم منع سيطرة الحريديم على رعنتا. فلتخليوا أن مرزيل المؤمن بأفكار مثير كاهانا قد سكن في رعنتا ونشر منشورات تحمل شعارا يدعو لوقف العرب في رعنتا (يوجد عدد منهم في المدينة)، وتحت هذا الشعار يخوض الانتخابات على رئاسة البلدية. كانت "ميرتس" (١) ستقيم دعوى قضائية أمام المحكمة العليا الإسرائيلية، وستكسب الدعوى وسيتم استبعاد قائمته العنصرية. وكان حزب العمل سيدينه على لسان كل كوادره، وكان الليكود أيضا سيصدر تصريحاً يفيد بأنه لا يجب أن نقر بشعارات من هذا النوع. لكن دم الحريديم مباح وكل من يريد سفكه لا يخشى من أي شيء. سيكون أمرا مثيرا للانتباه أن نضع شعارات "رينا برتل" ضد "الحريديم" أمام اختبار المحكمة العليا

(١) ميرتس: تشكل هذا الحزب عشية انتخابات عام ١٩٩٢، من اندماج ثلاثة أحزاب هي "المابام"، و"راتس"، و"شينوي"، وهي الأحزاب التي تطلق على نفسها اسم "أحزاب السلام في إسرائيل" أو أقصى اليسار. (انظر: عبد الفتاح محمد ماضي، المرجع السابق، ص ١٤٩).

الإسرائيلية. لكن حتى يتحقق هذا لماذا لا يدين قادة "ميرتس"
عنصرية "برتل" والصحفية رونيت فينتراف التي انضمت لحزبهم"^(١).

من الاقتباس السابق يتضح أن الصحيفة تساوى بين عنصرية قيادات حركة كاخ المحظورة وبين قيادات حزب ميرتس وحزب العمل، وهو ما يعنى ضمنا دمغهم بالعنصرية، لمجرد أنهم يدافعون عن الطابع العلماني لإسرائيل والذي يعنى بالتالى عدم الامتثال لمساعى فرض الشريعة على الجميع. والنص السابق يؤكد أنه فى الوقت الذى تتحيز فيه أحزاب مثل العمل والليكود أيضا ضد كوادر كاخ، وتنحاز فيه المحكمة العليا الإسرائيلية للمتممين للمعسكر العلماني فإن عنصرية نشطاء المعسكر العلماني لا تجد من يردعها أو يتصدى لها.

وعلى نفس المنوال تؤكد صحيفة "يتيد نئمان" أن غير المتخرجين من مدارس حريدية غير أسوياء، وذوو شخصيات مشوهة، حيث ذكرت فى مقال رأي:

"فلترسلوهم لمدارس حريدية. لكى يتخرجوا منها بشرا، وليسوا مدمنى مخدرات، أو عصابات مشاغبة"^(٢).

يرى المتدينون أن العلمانيين وأنصار اليسار أيضا هم طابور خامس وخونة ومن هنا تعددت الاتهامات لعدد من وسائل الإعلام الإسرائيلية بأنها تناصر العرب وهو ما عبر عنه رسم كاريكاتيرى نُشر بمجلة "نقودا". يصور الوحش العربى (فلسطينى ضخم مخيف) وقد تحول فمه لشاشة تليفزيونية مكتوب عليها (التليفزيون الإسرائيلى)^(٣).

ويتسق مع ما سبق حقيقة مساواة الصحف الحريدية بين العلمانيين وأنصار اليسار "فقد أكدت أبواق الحريدية الإعلامية بأن اليسار فقط هو الذى يتحمل وزر الصهيونية العلمانية، حيث أنه يروج لنموذج الرائد الصبار المثقف، كبديل للصديق

(١) שאול שיף، "המחדל הבא-הגזענים החדשים"، הצופה، 25-9-1998، מוסף שבת، עמ' 2.

(٢) מ. חברוני، יתד נאמן، 17-7-1998، מוסף، עמ' 23.

(3) נקודה، 21-1-1986، עמ' 96.

والتلميذ الحاخام، بينما تعتبر أن اليمين العلماني هو مجرد طفل رضيع سار بدون إرادته وراء اليسار الشيطاني^(١).

وتحاول الصحافة الدينية الإيجاء بأن عدوانيتها تجاه العلمانيين هي مجرد رد فعل. ومن الأمثلة على هذا الاتجاه ما ورد في صحيفة "همحنيه هجريدي"، على لسان عضو كيبوتس تائب:

"عندما كنت عضوا في كيبوتس علماني، كنت إنسانا طيبا. وعندما كنت أرى فلسطينيا، كنت أشعر بأنني بالفعل آثم في حقه. حتى عندما كنت أرى مغربا قام بعملية قتل، كنت أتفهم ما ارتكبه، وكنت أهاض أن يكيلوا له الضربات. احترمت حتى العقيدة الدينية للعربي الناصر لحماس. لكن عندما كنت أرى يهوديا حريديا، كان الدم يغلي في صروقي، وكانت تملكني رغبة جامحة في أن أكسر عظامه"^(٢).

ومن هنا يتضح أن الصحيفة تروج، عبر شهادة منسوبة لعلماني سابق، إلى أن العلمانيين يكونون مشاعر عدائية تجاه الحريديم لمجرد كونهم حريديم. وسياسة التخويف من العلمانيين، أو بالأحرى من كل من لا يتفق تماما في أسلوب حياته مع الايقاع الديني اليهودي، تم اتباعها أيضا في مقال بصحيفة هتسوفيه تحت عنوان "المسن المقدسي المعتدى عليه":

"إنها حقا قصة تصدم: اقتحمت مجموعة من الحريديم منزل مسن، وحيد، ومعاق وكالت له ضربات مبرحة. وما سبب كل هذا؟ لأنه يشاهد التلفزيون، الذي يُعد بدعة محرمة لدى الحريديم. تم احتجاز المسن في المستشفى للعلاج، وعلى الرغم من أن الحادث وقع منذ ثلاثة أسابيع فإن مانشيتات وخطابات الإدانة لا تزال تتوالى على الصحف. ولا شك أن أي استخدام للعنف أيا كان سيه مُلدان بشلة، وخيرا فعل الحاخام الأكبر لإسرائيل النابغة الحاخام "لاو" أطال الرب

(١) سפי רכלבסקי، חמורו של משיח, שם, עמ' 315.

(٢) המחנה החרדי, 23-9-1999.

عمره عندما أذان الحادث ولم يخش من حقيقة أن من قاموا به كانوا حريديم.

...قررت فحص هذه الواقعة بشكل أكثر دقة وقد تكشف لي أن الحقائق ليست في صالح المسن المعاق. لدى شهادة شاب تم استدعاؤه لمنزل المعاق بحجة أنه بسبب إعاقته لا يستطيع إشعال الغاز. "رأيت معاقا فاشفقت عليه. حضرت لمنزله وبدأت في العمل على إشعال الغاز. وبينما لا أزال مشغولا بالغاز بدأ في التحرش بي. ألزمته حدوده وغادرت المنزل بسرعة".

... هناك الكثير من الحريديم يفضلون حل مشاكل الشواذ عن طريق العنف، بدلا من التوجه للشرطة أو لإخصائي اجتماعي يتعامل مع هذا المسن. شهادة هذا الشاب الذي تحدثت معه لا تأتي في سياق إسباغ الشرعية على واقعة عدم الاعتداد بالقانون والقائمين على تنفيذه، لكن القصة كانت ستبدو مختلفة لو تحدثت العناوين عن مسن معاق شاذ جنسيا تم ضربه بواسطة حريديم.

فأنا اعرف عائلات علمانية كانت ستضرب أيضا هذا المسن لو أخبرهم إنهم إنه كان ضحية له، بعد أن عرض عليه تناول قطعة حلوى ومشاهدة التلفزيون معه^(١).

ويتبين لنا من الاقتباس السابق أن الصحيفة المعبرة عن الصهيونية الدينية تقوم بضربة استباقية وقائية، وتسرد واقعة، من وجهة نظر متعاطفة مع أنصار المعسكر الديني، دون أي دليل مادي سوى رواية أحد أنصار هذا المعسكر، التي قد تكون ناجمة عن شائعات، لكي تشوه صورة الإعلام العلماني في إسرائيل، وتتهمه بالكذب والتلفيق، وأن سبب الاعتداء على المسن ليس كونه علمانيا ويريد أن يشاهد التلفزيون في منزله، بل لسبب أخلاقي.

ويتسق مع الاقتباس السابق، ما نشرته صحيفة "يتيد نثان"، من نقد ساخر عنيف، على "ثلاث صفحات ضد حركة العمل برمتها، بسبب معاملة التمييز

(١) שאול שיף، "הזקן המוכה מירושלים"، הצופה، 6-1-1999، עמ' 7.

والاستخفاف التى يتعرض لها مئات الآلاف من المهاجرين الشرقيين، الذين وصلوا لإسرائيل فى الخمسينيات من العالم الإسلامى. حيث اتهمت حزب "المباى" الذى كان يرأس الحكومة آنذاك بأنه قام بعملية مدروسة لتحويل القادمين الجدد من إيمانهم وتراثهم الأصولى إلى إسرائيليين عصريين علمانيين، يصوتون لحزب المباى"^(١).

ج- تجنب الاختلاط بالآخر العلماني

تظهر نظرة الصحافة الدينية للعلمانيين أيضا فى تجنب الاختلاط بالآخر العلماني. وقد عبرت عن ذلك فتوى دينية نُشرت فى صحيفة هتسوفيه -تحت عنوان "السكنى فى الأحياء الحريدية فقط بتصريح من حاخامات"- فيما يلى نصها:

يجب على كل من يرغب فى شراء أو تأجير أو بيع شقة فى الأحياء الحريدية فى إسرائيل أن يحصل على تصريح من الحاخام المحلى -مكنا قررت فتوى دينية نشرت فى هذه الأيام بواسطة إعلانات يتم توزيعها فى الأحياء الحريدية وفى الصحف الحريدية.

سبب صدور الفتوى: "الحفاظ على الطابع الطاهر (النقي) للتجمعات السكنية والأحياء الحريدية بعد أن تم فى الآونة الأخيرة تأجير شقق لعائلات لا تتلاءم مع المنطقة من ناحية نهجها فى الحياة".

وقد صرحت مصادر حريدية بأنه تم فى الآونة الأخيرة تأجير شقق لعلمانيين أعلنوا تويتهم وعائلاتهم ويحتفظون حتى الآن بأجهزة تليفزيون ويسمعون موسيقى صاخبة، ولطلبة وطالبات لا يناسب طابع حياتهم المناخ العام فى المدن والأحياء الحريدية، ولـ "أشقياء" (شباب حريدى توقف عن دراسته فى المعاهد الدينية).

(١) راجع: ديفيد لاندائو، الأصولية اليهودية- العقيدة والقوة، ترجمة مجدي عبد الكريم، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٤، ص ١٨١.

وقيل إنه تقرر في الأحياء الحريدية الجديدة التي يتم بناؤها في "بيتار" وفي
"بيت شمش" أن يكون هناك بند في عقد البيع يطلب تصريحا كتابيا من
"هامرا داترتنا" (حاخام المدينة أو الحى-سيد المكان) أى الحاخام المحلى
عند شراء أو تأجير أو بيع شقة^(١).

ومن الاقتباس السابق، تتأكد فكرة الانعزال عن الآخر، المنتشرة بين اليهود عبر
العصور المختلفة، لكنها هنا تتلبس صورة مختلفة فهي موجهة ضد فرق وقطاعات
عريضة من اليهود، بل وكل من لا ينتمى للفرق التى ينتمى لها مؤسسو الحى.
فالأحياء السكنية (المنعزلة) على رأس الخدمات التى توفرها الطائفة أو الجماعة،
حيث تقيم كل جماعة فى منطقة سكنية خاصة بها فهناك ضاحية "بعلاز" فى القدس،
وضاحية "تسانز" فى נתانيا، وضاحية "فايغنيش" فى بنى براك، وضاحية "جور" فى
أشدود، وضاحية "أبو حصيرة" فى بئر سبع. ومن الممكن، فى بعض الأحيان،
التجاوز والسماح بسكنى بعض أتباع الفرق الدينية الأخرى فى الحى، بشرط قبولهم
الخضوع للأنظمة الخاصة بالحى، والتى "تتمثل غالبا فى الآتى:

١- على الساكن وعائلته التجول فى لباس عفيف، ويحظر على النساء لبس الملابس
القصيرة أو الشفافة، أو الخروج بدون جوارب تغطى الساقين وعلى المرأة حلق
رأسها.

٢- على الساكن أن يقوم بتعليم أبنائه فى أماكن تربوية حريدية.

٣- إذا أراد الساكن الاحتفال بمناسبة ما فعليه أن يحرص على عدم خروج صوت
غناء النساء خارج بيته.

٤- على الساكن أن لا يدخل إلى بيته أو يمتلك جهاز راديو أو تليفزيون أو تسجيل
أو أى آلة موسيقية.

٥- لا يسمح للأبناء أو البنات بجلب أصدقائهم من الجنس الآخر داخل الضاحية.

(١) تولى فيكرش، "פסק הלכה: מגורים בשכונות חרדיות רק באישור רבנים"،
הצופה، 17-1-1996، עמ' 6.

إذا أخل الساكن بأى من هذه الشروط، تُوجه له ثلاثة إنذارات متتالية، وإذا ما أصر على موقفه فعليه مغادرة الضاحية"^(١).

د. رفض القانون العلماني وتمرد على الانصياع له:

"قبل أن تناقش ماهية الإكراه الديني للهيئات القضائية ضد حراس اليهودية المخلصين ما نحن نعلنها صريحة وواضحة: لن نستمع لصوت المحكمة العليا الإسرائيلية لا ولا! ونعلن أننا نخضع لحكم السماء، وليس لاستبداد أجنبي وغريب عن أمتنا. محظور أن نستمع لصوت المحكمة العليا- طالما أن هناك رأى التوراة- وسنعمل بكل قوتنا حتى يرشدنا حاخاماتنا بالشريعة.

إن أى استغلال للقوة واستعراض للعضلات من قبل أى كيان حكومى، ومرجعيات قضائية لا تلتزم بالديمقراطية الحرة، هو فى الواقع إجراء ملوث بفكر محاكم التفتيش"^(٢) سيئة السمعة.

على المحكمة العليا ألا تضعنا فى موضع اختبار! لأننا لن نستسلم، ولن ننحني، ولن نخاف، وستعامل مع المحكمة العليا كما تعامل أجدادنا مع محاكم التفتيش فى قرطبة، أوفى بـ **بيتربرج لدى القيصر**"^(٣).

ويُفهم من الاقتباس السابق مساواة الصحافة بين القضاء، والمحاكم الإسرائيلية-العلمانية- وبين محاكم التفتيش، بما تحمله الأخيرة من دلالات واسقاطات همجية وعنيفة تجعلها غير جديرة بالاعتراف بها، بل ويتوجب ازدرائها واحتقارها. وذلك على الرغم من ارتباط محاكم التفتيش بالتزمت الدينى والانغلاق وهو ما ينطبق أكثر على الصحف الدينية ذاتها. هذا وينسحب عدم الاعتراف، واتباع سياسة الرفض والتخويف أيضا على المؤسسات العلمانية ومنها القضاء، وهو ما يبرز لنا بوضوح من خلال العنوان الرئيسى، والتقرير الذى نشرته صحيفة "يوم ليوم" على صورة عناوين فرعية مطولة تعليقا على قضية آريه درعي:

(١) صلاح الزرو، المرجع السابق، ص ١٠٨.

(٢) المقصود بمحاكم التفتيش: محاكم التفتيش التي كانت تتبع ضد المتهمين بالكفر من قبل الكنيسة فى العصور الوسطى.

(٣) **יצחק מתתיהו טבובים، המודיע، 22 - 1، 1999، עמ' 3.**

"معلمنا وسيدنا النابغة أطلال الرب عمره: "وفقا لحكم ديني هو بري". وفي مؤتمر صحفي مؤثر بحضور زعماء الجيل، الذين وصلوا لمنزل عضو الكنيسة الهاخام آرييه درعي للتعبير عن تضامنهم معه وثقتهم فيه، قال: "لم ألتق ولا (أجورا)^(١) واحدة كرشوة، ولا أعترف بالحكم، لقد أخطأت المحكمة، وسنقدم نقضا للحكم، وكل ثقة في أنه ستتم تبرئتنا هناك".

ومن بين الذين أدينوا عضو الكنيسة آرييه درعي، والنابغة الهاخام آرييه فينبرجر (أطلال الرب عمره)، والهاخام النابغة يوم طوف روفين، والهاخام النابغة موشيه فينبرجر، حيث تمت إدانتهم بتهمة خطيرة، ثم تمت تبرئتهم من بعضها. شعور بالدهشة من صياغة الحكم الذي تضمن إتهامات شخصية، وتعبيرات قاسية، لا ضرورة لها، حسب كل الآراء. رد خبراء في القانون جاء قويا: المحامي أفيجدور فيدلمان: "هذا حكم مهجى ووحشي". وأعرب (معلمنا وسيدنا أطلال الرب عمره) وحكام تورا آخرون عن ثقتهم المطلقة في عضو الكنيسة آرييه درعي. ردود أفعال ملتهبة بين الجمهور الحريدي كله: اليوم أصبحنا كلنا درعي. وأعلنت حركة "شاس" في بيان للصحافة: إن هذا يعد إدانة للحركة كلها، والحكم لن يعترف به لا على مستوى المحكمة، ولا على مستوى الجمهور. عضو الكنيسة آرييه درعي لكوادر "شاس": "إن غضبنا يزول بتبرئة شعب إسرائيل لنا، وبقراءة التوراة، وتدعيم قوتنا"^(٢).

وهنا نلاحظ عدم اعتراف حركة "شاس" بالحكم الصادر عن محكمة إسرائيلية، وفي نفس الوقت التلميح بقوة إلى أن تلك الخطوة جزء من ظاهرة متكررة تضطهد فيها المحاكم العلمانية رجال الدين اليهودي. كما نلاحظ، التلويح باستخدام القوة، والتوحد بين زعيم الحزب والحزب نفسه، بل والتيار الذي يمثله. وتكرار أساليب

(١) الأجورا: فئة من العملة الإسرائيلية تعادل القرش.

(٢) "הוא זכאי"، יום ליום، 18-3-1999، עמ' 1.

التعميم: "لا ضرورة لها حسب كل الآراء"، و"الجمهور الحريدي كله"، و"إدانة للحركة كلها".

ومن الأمثلة على هذا الاتجاه أيضا في الصحافة الدينية الاقتباس التالي من صحيفة "يتيد نشان":

"لقد قرر باراك أيضا أن ينضم للموضة الشائعة في السنوات الأخيرة بين الساسة، خاصة المتيمين لمعسكر اليسار، الذين يصورون أنفسهم على أنهم يتعرضون لتهديد وملاحقة، ويحتاجون لدعم وتعاطف، قبل أن يتعرضوا لاغتيال على غرار ما حدث لرايين... لقد قرر "باراك" أن يصدر ضد نفسه مجددا "فتوى باهدار دم". لكن كل مواطن في إسرائيل يدرك أن الأمر لا يعدو عن كونه بلاغة مشيرة للسخرية. فأقوى رجل في إسرائيل، ليس الرجل المُهَدَّد الخائف. بل إن هؤلاء الخاضعين لسلطانه وقد يتعرضون لمعاناة من تهديد السوط القضائي الاستبدادي الذي يمسكه في يده، هم الذين يتوجب عليهم أن يخافوا مما يمكن أن يفعله حاكم وحيد يملك قوة مركزية، لا يوجد مثلها في أية دولة ديمقراطية".

المقصود "بباراك" في الاقتباس السابق، رئيس المحكمة العليا في إسرائيل. والنص يؤكد الإصرار على رفض القانون العلماني وسلطته. وهناك نص آخر يؤكد هذا الاتجاه ورد في افتتاحية صحيفة "يتيد نشان" حيث جاء في افتتاحية تحمل عنوان "يتيد هيوم" (وتد اليوم)، والتي حملت في ذلك اليوم عنوان "يرهنون على حجم المشكلة" كتب محرر الصحيفة تحت توقيع "ي.ن." (يتيد نشان):

"الأقوال الخطيرة التي تفوه بها بالأمس وزير العدل "يوسي بيلين" (٢) في ندوة عقدت مع أعضاء وفد "عم إيجاد" من الولايات المتحدة،

(١) מאמר המערכת, 'תד נאמן', 22 - 1-1999, עמ' 2.

(٢) יוסי בילין: من مواليد عام ١٩٤٨ ببيتح تيكفا، حاصل على الدكتوراة. خدم بالجيش الإسرائيلي، شغل مناصب كثيرة منها: ناطق بلسان حزب العمل، سكرتير الحكومة، باحث في هيئة تحرير صحيفة "نغار" (بين السنوات ١٩٦٩-١٩٧٧)، وزير العدل، ووزير الأديان (في الحكومة الـ ٢٨). נא לעיין: (www.keneset.org.il)

كشفت مجددا إلى أى حد توجد عناصر علمانية متطرفة مستعدة للتحدى في محاولاتها للانفصال عن أى علاقة باليهودية، وعن أى التزام بأسس الشريعة، التى بفضلها عاش الشعب اليهودى منذ آلاف السنين. لقد قال الوزير "بيلين" إنه يريد إعادة النظر فى كل "الستاتوس كو" بشأن الدين والدولة، وفى هذا الإطار سيقتراح إلغاء قوانين الزواج إلغاء تاما. وبالنسبة للمحافظين على التوراة لم يكن فى هذا أى جديد. فقد سبق للوزير أن أعلن عن نواياه فور توليه المنصب. وفى ذلك الوقت أثارت تلك الأقوال صدمة لدى كل أجنحة الجمهور الحريدى، والدينى والتقليدى، فى "أرض إسرائيل"، لكن الوزير كررها منذ ذلك الحين أكثر من مرة، طالبا "نتيئة الرأى العام" - حسب قوله - لهذا الانقلاب الخطير. والآن سمع الأقوال من مصدرها الأساسى أيضا أعضاء الوفد الذى حضر من الولايات المتحدة وقد أدركوا ماهية الاتجاهات الخطرة التى تواجهها اليهودية المؤمنة فى الأرض المقدسة... إن أقوال رجال اليسار تبرهن على أنهم يقومون مع سبق الإصرار بهدم أسس الدين فى هذا الموضوع أيضا، لذلك فهم يستقبلون بترحاب التسلل الجماعى الغفير للأغيار المسجلين كيهود عبر موجات الهجرة. وبينما يصرح هؤلاء، صراحة وعلانية، بأنهم لن يرتدعوا عن اختراق كل أسوار قداسة البيت اليهودى، وتدنيس طهارة أنساب شعب إسرائيل. ليس أمامنا خيار إلا العمل على الحفاظ على الشعب اليهودى من خلال شجر أنساب فهى ضرورة آنية"^(١).

ومن الاقتباس السابق يتبين لنا عدم اعتداد الصحيفة المعبرة عن التيار الحريدى فى إسرائيل بآراء وزير العدل الإسرائيلى، بل وعدم اعتدادها بالقوانين الوضعية، وبحقيقة كونها قابلة للتعديل أو حتى الالغاء. كما تعتبر الصحيفة الحديث عن سن قوانين جديدة لا تلتزم بقوانين الشريعة بأنه خطراً داهماً على اليهود المتدينين فى إسرائيل.

(١) "מוכיחים את גודל הבעיה"، מאמר המערכת، יתד נאמן، 21-1-2000، עמ' 2.

وفي نفس السياق يوجد كذلك نص يؤكد رفض الصحافة الدينية الانصياع للسلطات والصلاحيات القانونية لأحد الوزراء طالما لم تتوافق مع أهداف التيار الذي تعبر عنه الصحيفة. فالمثال على ذلك هنا ورد في صحيفة "قول هاعير - بني براك" (קול העיר- בני ברק) وهي صحيفة الطائفة الحريدية في بني براك وتل أبيب ورمات جن، وكريات يسمح موشيه. وذلك تحت عنوان وعناوين فرعية:

"بأمر من الحاخام العظيم يوسف اتصل عضو الكنيست "إيلي يشاي" بباراك في كامب ديفيد وحذره من قطع نهائي للعلاقات مع شاس. براك أمر بيلين بالكف عن التعمينات المسيئة في وزارة الأديان. شاس تناضل ضد خطة التعمينات والشللية التي يقوم بها "بيلين" في وزارة الأديان"

"أبلغ رئيس "شاس"، عضو الكنيست "إيلي يشاي" رئيس الوزراء إيهود براك أنه في حالة استمرار خطة التعمينات والمحسوبيات التي يقوم بها الوزير "يوسى بيلين" في وزارة الأديان لن يكون متاحا الحديث عن عودة "شاس" للإتلاف بعد قمة كامب ديفيد. وحذر "إيلي يشاي" أيضا من أن "شاس" سيدعم مشاريع القوانين بتقليل الانتخابات والتي ستطرح للتصويت عليها بعد أسبوعين. وفي أعقاب الرسالة الحاسمة، أمر "باراك" "بيلين" بعدم اتخاذ أية خطوات أخرى في وزارة الأديان حتى يعود لإسرائيل. ولم يفلح الأمر الذي تم تلقيه يوم الاثنين من الأسبوع الجاري في منع تعيين الحاخام "شمونيل راينوفيتس" المقرب من "بيلين" و"بيريس"، وأحد أبطال "اللعبة القذرة" منذ عشر سنوات في منصب حاخام ساحة حائط المبكى. التعيين تم بالفعل يوم الجمعة ظهرا" راينوفيتس" الذي يشغل حاليا منصب حاخام البقاع

(١) إيلي (الياهو) يشاي: زعيم حزب "شاس"، من مواليد إسرائيل عام ١٩٦٢، أدى الخدمة العسكرية بالجيش الإسرائيلي، عضو كنيست منذ عام ١٩٩٦، سبق له أن شغل منصب وزير العمل والشؤون الاجتماعية، كما شغل في عام ٢٠٠٢ منصب وزير الداخلية. (٨٣ ٧٧١١: www.keneset.org.il)

المقدسة وهو المنصب الذي حصل عليه في أعقاب ضغوط من "بيلين"، في فترة شغل شتريت لمنصب وزير الأديان في حكومة رابين. ومع هذا أوقف القرار تنفيذ المرحلة الثانية من الخطة، والتي تضمنت تحويل الحاخامية الرئيسية لهيئة تابعة لمكتب رئيس الوزراء، وإخراجها عن سلطة وزارة الأديان.. جدير بالذكر في هذا الإطار أن "شمعون شتريت"، وزير الأديان في حكومة رابين، هو الذي عين الحاخام شموئيل في عام ١٩٩٦ في منصب حاخام حائط المبكى والبقاع المقدسة في أعقاب وفاة الحاخام "جتس" وكان من أصل شرقي، بينما شموئيل من أصل غربي وهو ما أثار حفيظة شاس خاصة وأن شموئيل -شاب في الثلاثينيات من عمره- عمل من قبل مستشارا لشمعون بيريس وهو مقرب من يوسى بيلين^(١).

ومن الاقتباس السابق يتبين لنا الرفض المطلق لسياسة وزير العدل المكلف بصلاحيات وزير الأديان، واعتبار إختياره لبعض الحاخامات لمنصب رفيعة، وهي حق من حقوقه، أمراً مرفوضاً وخطيراً ولا يمكن قبوله، بل ويعد مجرد تعيين لأغراض سياسية من شأنه إثارة حفيظة حزب شاس وجعله يهدد بتصعيد رفضه لقرار التعيين وهو ما يعنى بالتالى ابتزاز لرئيس الوزراء، حتى يصد الوزير ذا التوجهات العلمانية، ويجبره على التراجع عن قراراته. وقد وصل تشدد الصحيفة إلى حد اعتبار عمل الحاخام مستشاراً لشمعون بيريس في فترة سابقة تهمة وإدانة. لميول بيريس العلمانية.

وحول نفس الموضوع كتب محرر "يوم هشيشى" تحت عنوان "حاخامية واسعة":

"قرر الحاخامان الرئيسيان والقائم بأعمال وزير الأديان وزير العدل "يوسى بيلين" توسيع صلاحيات حاخام البقاع المقدسة الحاخام "شموئيل راينوفيتس" وتعيينه أيضاً حاخاماً لحائط المبكى وساحته. وعندما حاولت عناصر من شاس، كانت قد تلقت وعوداً بالمنصب، منع التعيين، صدر القرار بالفعل بشكل رسمى. وقد اتضح أنهم في "شاس"

(١) أבי ברקוביץ, "ברק הורה לבילין להמנע ממחטיפים במשרד הדתות", קול העיר, 19-7-2000, עמ' 21.

ليسوا غضبي من التمييز نفسه بقدر غضبتهم من تدخل بيلين في وزارة
الاديان، بدون مشورة"^(١).

"يوم هشيئى" ذكرت أيضا في نفس الاتجاه تحت عنوان "الحاخام الأكبر "لاو"
يوضح والحاخام الأكبر للشرقين بقشى دورون يرد":

...الحاخام الأكبر للشرقين "الباهو بقشى دورون" قال: حضروا إلى في
الصباح وقالوا إلى هل قرأت صحيفة هاآرتس فقلت أنا لا أقرأها. قالوا إلى
مكتوب بها كذا وكذا باسم الحاخامين الرئيسين"^(٢).

ومن الأمثلة على الاتجاه نفسه في الصحافة الدينية، ما نشرته صحيفة "هتسوفيه"
بعنوان "بعد استفتاء واحد":

"في هذه الأيام ظهرت نتائج استطلاع للرأى، قام به معهد الدراسات
السكانية الجغرافية، يتضح منها أن حوالى نصف السكان اليهود في
إسرائيل يعتقدون أن هناك حربا أهلية تنتظرنا بين الدينيين
والعلمانيين... إن الجيل الجديد الذى تربى في الدولة يفتقد الحد الأدنى من
المعرفة بشئون الديانة اليهودية اليهودية. إذن لا عجب في أن يترى السواد
الأعظم من هذا الجيل على كراهية التراث اليهودى، بل وفي حالات معينة
على استعداد لأن يستخدم سيف الحرب ضد المحافظين على التوراة
والتعاليم، للأسف الشديد فإن المعلمين في المدارس العامة لا يكتفون فقط
بعدم تخصيص الاهتمام الكافى من أجل تعليم الشباب القيم اليهودية، بل
إن بعضهم يفرسون الكراهية في أعماق الشباب العلماني ضد كل شيء له
أى علاقة بالتراث العتيق للشعب اليهودى.

ورغم أننا لا نوافق على الرأى القائل بأنه في المستقبل القريب سنشهد
حربا أهلية، إلا أننا نقول أنه سيكون من الخطأ أن نتجاهل تلك (الأورام
الخبيثة) التى بدأت تظهر في الحياة الإسرائيلية والتى قد تؤدى في نهاية
المطاف إلى مواجهة حادة، بل إلى "حرب أهلية" بين المتدينين
والعلمانيين.

(١) סופר "יום הששי", "רבנות" רחבה", יום הששי, 21-7-2000, עמ' 10.

(٢) שם, עמ' 16.

ومن المهم أن نؤكد أنه ليس الدينيين هم الذين سيظهرون سيوف الحرب.
هذا الجمهور تربي في أغلبيته العظمى على حب إسرائيل كأحد التعاليم
التي أمرنا بها. إذن لا يمكن أن نتخيل أنه في يوم من الأيام سيظهر هذا
الجمهور أسلحته ضد أبناء شعبه، حتى ولو لم يكونوا حريصين على
التوراة والتعاليم اليهودية. أما الجمهور العلماني الصرف فيشعر بالغربة
تجاه المحافظين على التوراة وتعاليمها. أحيانا لا يتحفظ على التعامل معهم
فقط. بل يتسم سلوكه أيضا بالكراهية تجاه حفظه التوراة.

ألا يذكرنا هذا بالشقاق الذي شهدته مملكة إسرائيل، بعد موت الملك
سليمان؟

على الرغم من هذا كله نتمنى أن يحافظ شعب إسرائيل على وحدته وهو
يعيد حياته في أرض إسرائيل، بعد ألفى عام من النفي. إن قوتنا تكمن في
وحدتنا^(١).

بشكل مباشر تلوح الصحيفة في الاقتباس السابق بحرب أهلية بين المتدينين
والعلمانيين، تكون لغة الحوار فيها هي السيف، وتُحمّل الصحيفة العلمانيين مسؤولية
اندلاع هذه الحرب المرتقبة. وتقارن الصحيفة بين الوضع الحالي وبين المرحلة
التاريخية التي شهدت انقسام (مملكة إسرائيل) إلى شطرين. وهو ما يؤكد في النهاية
عمق الخلافات على قضايا جوهرية بين المعسكر الديني والمعسكر العلماني في
إسرائيل.

ونخلص من كل ما سبق إلى:

- ١- تشجع الصحافة الدينية على الانغلاق ورفض الآخر العلماني.
- ٢- تطالب الصحافة الدينية وتعلّي من شأن "دولة الشريعة"، وبالتالي ترفض أو
تشكك في مشروعية "دولة القانون" التي ينادى بها العلمانيون.
- ٣- ترفض الصحافة الدينية القانون العلماني وتتمرد على الانصياع له.
- ٤- تميل الصحافة الدينية لدمغ العلمانيين بالعنصرية، والتخويف منهم.
- ٥- تشير اتجاهات الصحافة الدينية إلى أن الهوة بين المعسكرين الديني، والعلماني
مرشحة لمزيد من الاتساع في المستقبل.

(١) مان، بعد استفتاء واحد، هتسوفيه، ٣-١٢-١٩٩٦، مختارات إسرائيلية العدد (٢٥)، يناير ١٩٩٧،
ص ١٦.

2

**موقف الصحافة الدينية
من الديمقراطية الغربية
في إسرائيل**

مقدمة:

إن محاولة تعريف الديمقراطية أمر تحفه المخاطر، حيث لا توجد "مرجعية" ديمقراطية أو نظرية واحدة يقاس عليها. و"ليس هناك ثمة تعريف مطلق للنظام الديمقراطي، بل هناك مجموعة من التعريفات يعيدنا كل منها إلى إحدى نظريات الديمقراطية، التي يصعب الاختيار بينها، بيد أننا يمكن أن نتحرى وجود الديمقراطية، بتلمس بعض الميكانيزمات والمؤسسات والوظائف. مثل حرية الانتخاب، والتجديد المستمر للأطعم الحاكمة تبعاً لذلك. وفي هذا الإطار، يمكننا أيضاً أن نلاحظ غياب -أو وجود- سمات الاستبداد، وهو الذي يعرف بغياب الديمقراطية، مما يردنا للنقطة الأولى"^(١).

ويجدر بنا في البداية أن نشير إلى أن "كلمة "ديمقراطية" مشتقة من لفظتين يونانيتين الأولى هي "ديموس" بمعنى (شعب)، والثانية هي "كراتوس" بمعنى (سلطة)"^(٢). وبالتالي فهي تعنى سلطة الشعب أو حكم الشعب، أي: أن يحكم الشعب نفسه.

ويمكن القول في هذا المجال أن "هناك معيارين يمكن الاستناد إليهما لتوضيح الخط الفاصل بين "الديمقراطية والطبيعة غير الديمقراطية للنظام السياسى، وهما تداول السلطة، ودرجة المشاركة السياسية"^(٣)، باعتبار أن هذا محك عملي ملموس.

(١) راجع: لويس جون دوكلو(د)، النظام العالمي الجديد ومستقبل الديمقراطية في العالم العربي، في التحولات الديمقراطية في الوطن العربي-الندوة المصرية - الفرنسية الثالثة، مركز البحوث والدراسات السياسية جامعة القاهرة، ١٩٩٣، ص ٨٠، ٨١.

(2) The New Encyclopedia Britannica, Op. Cit, Vo. 4, p.5.

(٢) حسن نافعة(د)، النظام العالمي الجديد ومستقبل الديمقراطية في العالم العربي، في التحولات الديمقراطية في الوطن العربي-الندوة المصرية - الفرنسية الثالثة، مركز البحوث والدراسات السياسية جامعة القاهرة، القاهرة، ١٩٩٣، ص ٤٢.

ولعله من قبيل التسرع والنظر بسطحية، أن نصدق مقولات إسرائيل المتكررة بأنها واحة الديمقراطية في المنطقة، وهو ما لا ينطبق بشكل خاص على القوى الدينية فيها، التي يسوق فيها الحاخام أتباعه نحو صناديق الانتخاب، حسبما يريد، تارة متخذًا مواقف متشددة منظويا تحت عباءة اليمين، وتارة يرفع لافتات اليسار وشعاراته ويتحالف معهم. ولعله يجدر بنا في هذا السياق أن ننوه لفتوى حديثة، من الحاخام عوفاديا يوسف -الحاخام الأكبر الأسبق لإسرائيل والزعيم الروحي لحزب شاس- حيث أفتى بأنه "حرام شرعا استفتاء الشعب حول قضية إخلاء غزة، لأنه على القيادة أن تتخذ القرارات منفردة لا أن تحتّمى وراء استفتاء"^(١). وهذا يعنى تكريس الأسلوب المتبع في شاس كنظام للدولة، باعتباره النظام الأمثل، وليس استقراء أو استطلاع مواقف الشعب بشأن القرارات السياسية.

والنظرة السريعة إلى الجهاز التنظيمى لدولة إسرائيل تجعلها "تبدو وكأنها دولة ديمقراطية، تتشابه، ولو على السطح، مع النظام البريطانى. فلهذه الدولة هيئة تنفيذية، تبدو وكأنها مسؤولة أمام هيئة تشريعية، منتخبة انتخابا مباشرا، وسريا من قبل الشعب. كما وأن لهذه الدولة جهاز قضائى، لا تتدخل فيه الأجهزة السياسية، أو هكذا يبدو، من قريب أو بعيد"^(٢). فواقع الحال يشير إلى غبن إسرائيل لحقوق الفلسطينيين في الضفة الغربية وغزة، وفلسطينى الـ٤٨، خاصة وأنه في حالة منح الفلسطينيين الجنسية ستكون الأغلبية اليهودية في فلسطين (من النهر إلى البحر) في محل شك كبير. ولو طبقت الديمقراطية بشكل حقيقى لمنيت إسرائيل بخسائر كبرى تهدد وجودها كدولة لليهود، وليست دولة لكل مواطنيها. ويبدو أن سبب اختيار إسرائيل للنظام الديمقراطى الشكلى هو سعيها للظهور بمظهر من ورث أرض فلسطين عن بريطانيا، وضرورة أن تبدو ديمقراطية أمام القوى الاستعمارية الكبرى المتحالفة معها لأنها تضمن الديمقراطية وترفع شعاراتها باستمرار.

(١) www.moresheet.co.il

(٢) كامل أبو جابر، نظام دولة إسرائيل -إطار القرار السياسى، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٧٣، ص ٣٥.

سمات ومظاهر العلاقة مع قضية الديمقراطية:

وهكذا نجد أن الديمقراطية كانت أحد محاور الصراع بين تيارين ومعسكرين في إسرائيل، "الأول هو اليسار الجديد الذي لا يحمل أيديولوجية اجتماعية مبلورة، ويشتق قوته ودعمه من الشرائح المدنية الوسطى، وقد شكل هذا التيار نقیضا للتيار القومي-الديني المتطرف من حيث الحلول التي يطرحها، ولكنه يلتقى معه في المنطلقات الأساسية. فالتياران يسعىان إلى جعل إسرائيل في وضع الدولة القومية النقية من الغرباء. فبينما يسعى التيار اليميني إلى التمسك بالمناطق المحتلة، وتحين فرصة تهجير الفلسطينيين أو فرض نظام "إبارتهيد" (فصل عنصري) يتجاهل وجودهم، وبهذا يحافظ على صبغة الدولة اجتماعيا وثقافيا وسياسيا.

أما التيار الثاني (اليساري)، فإنه بالإضافة إلى هدف الحفاظ على صبغة دولة إسرائيل القومية والثقافية، يضيف صفة الديمقراطية ويعتقد باستحالة تحقيق ذلك في ظل وضع الاحتلال^(١). وهو ما يكشف عدم جدوى التعويل على فوز أحد التيارين في الانتخابات، واعتباره مؤشرا قاطعا على إمكانية التوصل لسلام دائم وشامل وعادل. خاصة في ظل وجود تيار ديني متصاعد يرفع شعارات المحافظة على هوية يهودية "خاصة" تقوم على التعصب القومي الديني، وضم المناطق المحتلة أو ابقاء الوضع القائم مؤقتا، حتى لو كان الثمن التنازل عن المبادئ الديمقراطية.

ويجب في هذا الإطار ملاحظة أنه في فترات كثيرة، خاصة في العصور الوسطى كان "الذوبان غير ممكن في العالم الغربي بالنسبة لليهودى، وإن نتاج هذه المحاولة تمثل في هرتزل نفسه، فالذوبان لا يحل مسألة اليهود في العالم المسيحى"^(٢). وهذا يعنى إيمان في اللاوعى اليهودى بأن الديمقراطية الغربية اضطهدتهم في فترة سابقة.

وهذا التعارض بين الركائز الصهيونية وبين قواعد الديمقراطية الغربية ليس نظريا أو مجردا، ولكنه يعنى "العامل الحاسم عمليا في قضية الصراع السياسى

(١) عزيز حيدر(د)، "تأثير النزاع العربي-الإسرائيلي على المجتمع والدولة في إسرائيل"، فصلية الباحث العربي، مركز الدراسات العربية، لندن، العدد ٤٣، نوفمبر ١٩٩٦-فبراير ١٩٩٧، ص ٢٩.

(٢) אמנון רובינשטיין، שם، עמ' 15

والعلاقة بين الدولة والمجتمع، وبينها وبين الدين وجوهر النظام السياسي والاقتصادي والاجتماعي والمؤسسات والعلاقات الاجتماعية^(١).

ويؤكد إشكالية التوازنات الديمقراطية الشكلية في إسرائيل ما ورد بمذكرات إسحق شامير حيث قال: "يجب الاهتمام بأن يكون ممثلو الأغلبية العلمانية في إسرائيل ذوى نوايا حسنة، وألا ينكروا بشكل كامل وتلقائي حقوق الأحزاب الدينية في النضال من أجل تحقيق أيديولوجيتها، التى تعتمد على قيام دولة دينية"^(٢).

وبالنسبة لموقف مؤيدى حزب شاس من الديمقراطية، "أظهر استطلاع للرأى، طرح سؤالاً نصه: ماذا تفضل أن تكون دولة إسرائيل: ديمقراطية أم دينية يهودية؟ أن ٥٥ ٪ من ناخبي شاس يريدون دولة دينية يهودية، فى حين يؤيد ٤٤ ٪ دولة ديمقراطية، بينما يريد ٨٣ ٪ من عامة الإسرائيليين دولة ديمقراطية، و يريد ١٣ ٪ دولة دينية"^(٣).

أما ممثلو الصهيونية الدينية، فيقولون عن الديمقراطية وأهميتها (النظرية) بالنسبة لهم "الديمقراطية: يجب على الدولة اليهودية أن تكون ديمقراطية. طالما لم يحن بعد وقت مملكة المسيح المخلص (وهى ليست مملكة بالمعنى المعروف كسلطة فردية، وبالطبع ليست ديكتاتورية)، فالديمقراطية هى النظام المفضل نسبياً فى رأى التوراة، وبدونها يتفكك الإطار السياسى لا سمح الله. حقاً مكانة المبادئ الدينية والتقليدية فوق كل مرجعية بشرية. لكن التنفيذ العملى لهذه المبادئ فى الحياة العامة يلزم بوجود آليات جماعية وفى حالة دولتنا هى ديمقراطية. أكثر من ذلك ليس فقط لأسباب عملية براجماتية يجب التحكم فى الحركة، لكن أيضاً لأسباب دينية بارزة. فلا شك أن أداء الوصايا انطلاقاً من رغبة مفضل عن الإكراه. فالملك المسيح يمكنه

(١) عزيز حيدر(د)، المرجع السابق، ص ٣٠.

(٢) יצחק שמיר، סיכומו של דבר, שם, עמ' 197.

(٣) ידיעות אחרונות, 28-5-1999.

فرض التوراة على الناس، لكنه يفضل أسلوب الاقتناع والقبول برغبة^(١). وهي مواقف تكاد تكون نموذجية على المستوى النظري، لكن واقع الحال يشير إلى أن القوى الدينية لا تميل للاختيار الديمقراطي لزعامتها، ولا تحترم رأى ومصالح الأغلبية داخل إسرائيل.

(١) יעקוב אריאל - www.daat.ac.il/daat/kitveyet/shana/ariyel-4.htm

معالجة الصحافة الدينية للديمقراطية

أ - ضد الديمقراطية:

يظهر عداء الصحافة الدينية للديمقراطية الغربية، من خلال النماذج التالية، حيث يؤكد هذا، ما ورد بصحيفة "هتسوفيه" تحت عنوان "على جدول الأعمال يجب الامتناع عن اتخاذ قرارات في موضوعات مصيرية":

"هل من المسموح لحكومة يرتبط وجودها بقدرتها على صد المعارضين، حكومة أعرب وزراء بها عن معارضتهم لرئيس الوزراء هل مسموح لها أن تتخذ قرارات يتعلق بها مصير الدولة؟ فعندما اتبع إسحق رابين (طيب الله ذكراه) سياساته قلنا إنه لا يملك صلاحيات لكى يفعل هذا، طالما أنه لا يملك أغلبية يهودية تدعمه. الوضع الصعب للحكومة الحالية واهتزاز وضع رئيس الوزراء، والعلاقات بينه وبين الوزراء، وعدم معرفة أغلب الوزراء ما هي سياسات الحكومة، هل كل هذا لا يُميد الأرض من تحت صلاحيات الحكومة في الحسم بشأن مراحل إعادة الانتشار الماثلة أمامنا، ليس حقيقة أنه عندما يُدعا أعضاء الكنيست من الائتلاف لجلسة خاصة لرئيس الوزراء ولا يحضر سوى ١٤ عضو كنيست فقط دلالات وأبعاد وراثتها ما وراثتها" (١).

فوفقا للتصور القاصر للقوى الدينية في إسرائيل، تسرى الديمقراطية على اليهود فقط، بمعنى أنه إذا احتاج قرار ما لأغلبية فإنها بالضرورة تكون أغلبية يهودية، وهو ما ينسحب أيضا على الأحزاب والحركات الدينية، التي ترى أن موقفها هو الصواب، على الرغم من الغالبية في إسرائيل حتى الآن لا تزال علمانية في مواقفها. "فالمثديون اليهود في إسرائيل، يشكلون شريحة صغيرة لا تزيد نسبتها عن ١٥ ٪

(١) يוסف (يوسكاه) شפירא، "להמנע מהחלטות בנושאים קיומים"، הצופה، 28 - 11 - 1997، עמ' ٥.

من المجتمع الإسرائيلي، إلا أن تأثيرهم، أبعد أثرا، ويتجاوز بكثير عددهم الكمي، ونسبتهم التمثيلية، فبالرغم من كونهم أقلية داخل إسرائيل، إلا أنهم أقلية منظمة تنظيما جيدا، تستثمر طاقاتها الاستثمار الأقصى، وتعيش في حالة ترقب وتوثب دائم، مقابل أكثرية علمانية متراخية. اصف إلى هذا استحواذ المتدينين على المستوى الشعبي على تأييد نحو ٣٠٪ من مجموع السكان^(١).

وفي هذا السياق، الخاص بوضع القوى الدينية لتصوراتها الخاصة بهامية الديمقراطية، والذي ينطوي على رفض لآلياتها، وفقا للمفهوم الغربي الذي استنها، وأخذت به إسرائيل، نجد أن كاتباً مثل "إسحق روط" يشبه الديمقراطية بالآله "بعل فاعور" الذي كان إلهاً كنعانياً في صورة صنم، وعبدته اليهود قديماً حيث كتب تحت عنوان "الديمقراطية صنم":

"مثلما كانت هناك أصنام محلية محرمة يعبدها البشر في العصور القديمة،
يعبد العالم كله حالياً صنماً ضخماً يسمى لتجريدنا من كل القيم والاحترام
والتقدير والأهمية. صنم الديمقراطية هو الأكثر تفوقاً بين
الأيديولوجيات، لا توجد قيم ولا توجد ضوابط، كل إنسان يستطيع أن
يفعل ما يحلو له. الديمقراطية الغربية في عصرنا هي الامتداد
الأيديولوجي للأصنام فكلما اقترب الإنسان من مستوى حياة الحيوانات
شعر بأنه متقدم ومستنير"^(٢).

ولا يقف أمر معاداة الديمقراطية الغربية في إسرائيل عند حد الحياة السياسية، بل إنه يتعداه أيضاً، إلى تدخل الدولة في انتخابات "هربانوت هراشيت" أو "الحاخامية الكبرى"، حيث تعترض القوى الدينية عبر صحافتها على الأسلوب الذي تتبعه الدولة في إختيار الحاخامات الكبار لرئاسة "الحاخامية الكبرى". وقد وضع هذا الاتجاه في افتتاحية "يتيد نهمان" تحت عنوان "مؤسسة الحاخامية

(١) صلاح الزرو، المرجع السابق، ص ١٦، ١٧.

(٢) 'יצחק רוט، "העולם דמוקרטיה בעל פעור"، יתד נאמן، 17-7-1998، מוסף עמ' 15.

الكبرى":

"يجدر بنا وقد انتهت انتخابات "الحاخامية الكبرى"، أن نوضح مجددا نظرة اليهودية الحريدية لتلك المؤسسة.

لم تمثل أبدا "الحاخامية الرسمية"، الحكومية، التابعة للحكومة، أية قيمة بين جمهور الأتقياء والمحافظين على الشريعة الحقة. إن شعب إسرائيل جدير بحاخامية غير تلك. إن هذه الصلاحيات تمنح فقط لعظماء إسرائيل الحقيقيين، الذين سعى الجميع إليهم لضلوعهم في علوم التوراة.

أيضا في أرض إسرائيل تأسست مؤسسة على هذا الفرار، وبعيدا عن رأينا. اليهودية الحريدية اعتادت منذ هذا التوقيت وللأبد على حاخامية حقيقية وجديرة بحمل اسمها، من عظماء التوراة والشريعة، كما هو متبع منذ القدم، وعارضت المؤسسة التابعة للسيطرة العلمانية، التي يتم اختيار حاخاماتها بواسطة أشخاص بعيدين عن حفظ التوراة والوصايا، لذا لم تحظ الحاخامية الرسمية على الإطلاق بتبجيل بين صفوف عالم التوراة، وحيث أنها لم تحظ باحترام بين دارسي التوراة، أخذت مكانتها تضمحل بشكل داخلي وخارجي"^(١).

بناء على ما سبق، يمكننا القول أن الأحزاب الحريدية لا تعترف، بالحاخامية الرئيسية، وتعتبرها "تابعة للسيطرة العلمانية" و"مؤسسة تعمل وفقا لشرعية قانون علماني فقط"، وعلى ذلك فإنها مرفوضة وغير معترف بها من الحريديم.

ومن الاقتباس السابق يمكن أيضا نفق مجددا أمام حقيقة موقف القوى الدينية في إسرائيل، والحريدية منها من الديمقراطية، فهي لا تعترف بنتائج الانتخابات، باعتبارها إحدى صور الديمقراطية، كما لا تعترف برأى الأغلبية.

وهي القضية التي تؤكد عليها أيضا صحيفة "هموديع" تحت عنوان "حاخامية منتخبة":

(١) מאמר המערכת, "מוסד הרה"ר", יתד נאמן, 22-2-1993.

"في عصور مضت في إسرائيل كان الحاخامات يصعدون لقمع الحاخامية بشكل مختلف تماما، عن ذلك المتبع لدى الحاخامية الرسمية لدولة إسرائيل... فلأول مرة توجد سيلتان من بين من لهم "حق التصويت" لاختيار الحاخامات.

.... ومع كل التحفظات التاريخية التي لدى "يهדות هتوراه" تجاه "المؤسسة الربانية الرسمية"، فإن الحزب بالتأكيد أراد على الأقل أن يتم اختيار الأفضل والأكثر تميزا بين المرشحين. فلما بالنا وأنه كان ولا يزال للمعسكر التوراتي اهتمام بسمعة الحاخامية، لأن قضايا التوراة تحت سيطرتها من الناحية القانونية، وأيضا لأنه من وجهة نظر اليهودي العلماني لا يوجد فرق بين من يتولى وظيفة حاخامية سواء حكومية أو جماهيرية كبرى.

والذي أدى بمؤسسة "الحاخامية الكبرى" إلى هذا التدهور والتدنّي في المكانة، ووضعها على حافة الانهيار هم أنصار الحزب الديني الصهيوني، الذي قام بكل في ما في وسعه - كي لا يفقد هيئته على هذه المؤسسة - للتشويه، والإهانة، والإحراج أمام الجماهير للمرشحين، الذين لم يضمنوا له السيطرة التي فرضها على تلك المؤسسة لمدة سبعين سنة^(١).

ويظهر من هذا تكرار الموقف الرافض للديمقراطية وللعملية الانتخابية خاصة وأن "سيدات" شاركن فيها، كما نجد أن حزب "يهדות هتوراه" يلمح إلى أنه لن يدخل في صدام مع الحاخامين الذين تم اختيارهما، لأن المصالح مشتركة، وهو ما يبرره بتفويت الفرصة على العلمانيين للشهانة في الحاخامات والمتدينين.

وتخصص الصحيفة أيضا قسما من المقال للهجوم الشرس على حزب "المفدال" واصفة إياه بـ "الصهيوني"، ولعل في ذلك نوع من تصفية لحسابات انتخابية.

ويظهر أسلوب مماثل أيضا في صحيفة "هموديع" حيث كتب "ي. م. ارزي" يقول:

(١) م' שלום، "רבנות נבחרת"، המודיע، 22-2-1993.

"في نفس اليوم الذي حكمت المحكمة العليا في إسرائيل فيه بإدخال الإصلاحيين" الداعرين للمجلس الديني لمدينة القدس، ووضع صنم تابع للمحافظين في الهيكل، قُتل على الحدود مع لبنان ثلاثة جنود إسرائيليين، وكان قد جرح إثنان آخران بجروح بالغة في بداية الأسبوع الحالي، بالأمس قتل جنديان آخران دائرة الدماء دارت ولن تتوقف. وفي الواقع لم يشهد اليهود في إسرائيل أياما طيبة منذ دقت السياسة الإسرائيلية وتدا علمانيا وكافرا في هذه الأرض المقدسة والجميع يعلم النهاية ويحذر منها. إن ما يجري حاليا هو اضطهاد ديني وإهانة" (٢).

ويتبين لنا من الاقتباس السابق أن صحيفة "هموديع" المعبرة عن مواقف حزب "أجودات إسرائيل" الحريدي تعتبر أن العلمانيين والإصلاحيين في كفة واحدة وأن كلاهما خطر حقيقي، لا يجب الامتثال لحكم المحكمة العليا بضرورة تمثيلهم بشكل ديمقراطي في المجلس الديني لمدينة القدس. وهو ما يعد رفضا للديمقراطية ونظمها.

ب - محاولة فرض قيود دينية على الإجراءات الديمقراطية:

تظهر محاولة فرض قيود دينية على الاجراءات الديمقراطية في رفض أى إجراء يعتقد المتدينون أنه مخالف لما ورد في العهد القديم، ويتجلى هذا، على سبيل المثال، في

(١) الإصلاحيون: كانت البداية التاريخية الفعلية لهذه الحركة هي تدشين المعبد الإصلاحي في هامبورج سنة ١٨١٨، حيث أصبحت حركة، لها معبدها وتابعوها وقوامها القانوني الخاص. وكان ادوارد كلاي (١٧٨٩-١٧٦٧) وكارل سيجفري جونسبرج (١٧٨٨-١٨٦٠) قد أصدرتا سنة ١٨١٧ أول كتاب صلاة باللغة الألمانية، وأعتبر نشره معيارا للصلاة حسب المذهب الإصلاحي. وقد وضع في هذا المعبد أرغن يعزف أثناء الطقس والكورال يغني. وهو شيء تختلف فيه هذه الحركة عن التوجهات الأخرى في الديانة اليهودية التي تحرم بعضها الغناء والاستماع إليه أساسا. ولأن فرقة الإصلاحيين قامت كرد فعل لقرون التزمت والظلمات، والدروشة، فإن أصحابها كرهوا المشنا والتلمود، وكانوا يأخذون أحكام الكتاب المقدس في أبسط امكانيات التفسير وأقلها قسوة على الناس عند التطبيق. وذلك رغبة منهم في التخفيف عن الراغبين في الالتزام الديني. (انظر: إسماعيل راجي الفاروقي (د)، الملل المعاصرة في الدين اليهودي، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٨٨، ص ٤٤، ٤٥. وحسن ظا(د)، المرجع السابق، ص ٣١٤).

(٢) ١. م. أرزي، המודיע، 27-11-1998، מוסף، עמ' 1.

مقال نُشر في صحيفة "هتسوفيه" بقلم موشيه إيشون، تحت عنوان "رايين والعهد القديم"، ورد فيه:

"أصاب رئيس الوزراء الإسرائيلي إسحق رايين عندما قال: "إن العهد القديم ليس بسفر لتسجيل ملكية الأراضي". ومع هذا يتعين على السيد رايين معرفة أن مكانة العهد القديم أكثر سموا ورقيا فالعهد القديم ينطوى على كل ما يؤكد على صلة شعب إسرائيل بهذه الأرض، وعلاوة على هذا فإن قداسة أرض إسرائيل ليست للبيع أو الشراء، فهي تفوق هذا الأمر بكثير، فهذه القداسة تنجلي بشكل بالغ الوضوح في علاقة شعب إسرائيل بهذه الأرض، التي دامت على مدى ألفى عام. كما أن العهد القديم يعلمنا دائما الالتزامات الملقاة على عاتقنا بوصفنا شعب الله المختار. ومن ثم فليس من الممكن الاستخفاف بشريعتنا، وما ورد بها من نصوص، ويجب ألا يعمل أحد من الزعماء على تفسير الشريعة على نحو يتواءم مع أية أغراض سياسية. كما أنه لا يحق لأحد أن يمحى من هذه الشريعة أى جزء كما فعل رئيس الوزراء عقب توقيعه على اتفاقية أوسلو".

إن القيم اليهودية قيما أبدية، كما أنها وثيقة الصلة بوجود الشعب في أرضه، وبقاء الشريعة، وليس من الممكن أن نفصل فيما بين الأرض والشريعة، ومن الواضح أن كل من يتجاهل هذه الحقيقة سواء عمدا أو عن جهل فإنه يتجاهل قيمنا المقدسة التي تمسكنا بها طيلة فترة وجودنا في الشتات، وهذا بعد أن نفينا عن أرضنا، أى بعد تدمير الهيكل. وحينما حاول السيد رايين أن يعلمنا مضمون العهد القديم لم يكتف بتحريف النص وإنما أظهر قدرا من الاستخفاف وعدم الاهتمام بفكرة "أرض إسرائيل". فقد ذكر رايين: "اعتقد أن القداسة لا ترتبط بالأرض بقدر ارتباطها بالقيم"، ويمكننا على نحو آخر القول بأن رايين تنازل بمتتهى السهولة عن أرض الوطن، واكتفى بتفضيل "القيم اليهودية"، دون أن يوضح ما هى أكثر القيم قداسة.

...ولو كان راين قد درس دلالات القيم اليهودية، وطبيعة علاقة شعب إسرائيل بأرضه لما كان قد ميز بين العهد القديم وبين أرض إسرائيل.
ومن المؤسف حقا أن السيد راين لا يتفهم حقيقة هذا الامر، وأنه أصبح يتعرض على نحو مؤسف لقيمنا اليهودية المقدسة والتي تعد قيما أبدية لشعب إسرائيل للأبد"^(١).

وعلى هذا النحو، فإن المتدينين، يتهمون العلمانيين دائما بالجهل بتعاليم التوراة والشريعة، وهو اتهام له خلفياته، التي يجب الوقوف أمامها وربطها بالوضع الحالى. حيث لم يتم دعاة الصهيونية الأوائل بدراسة اليهودية للإهتداء بها فى استنباط نظام لليهود، يلم شملهم، ويوحد صفوفهم، إنما شرعوا أولا بوضع أفكارهم ورؤيتهم الخاصة، التى التقطوها من هنا وهناك، ثم قاموا بإسقاطها على اليهودية، "بغية اغتراف ما توافق معها من اليهودية، وإهمال ما تعارض، وبعبارة أخرى، طوعوا اليهودية، وكان الأصل أن يحدث عكس ذلك لو كانوا حريصين حقا على اليهودية التى يدعون أنهم يؤمنون بها"^(٢).

ولم يقتصر الأمر فى مناهضة الديمقراطية فى إسرائيل من جانب القوى الدينية عبر صحفها، على الكتاب فحسب، بل كان القراء، هم الآخرون يدلون بإسهاماتهم فى مثل هذه القضايا، دعما لوجهة النظر ذات المنظور الدينى تجاه هذه القضية. ففى رسالة نشرت فى بريد القراء، فى صحيفة "هتسوفيه" تحت عنوان "التنافس على الجمل بما حمل" ورد ما يلى:

"نشهد فى السنوات الأخيرة أسلوبا حديثا جديدا وغريبا عن روحنا ألا وهو: تأثر صياغة خطاب كل أعضاء الكنيست الإسرائيلى، تقريبا فى كل الأحزاب، بـ "العامية" الأمريكية. وزراء "يتنافسون" على كل الأوراق السياسية، الوزير فلان الفلانى يعلن إنه "سينطلق مرشحا نفسه" للكنيست القادم، و"السباق الانتخابى" بدأ بكل قوته. وكأننا نتحدث هنا عن تنافس رياضى وضع، لا سمح الله، أمام أعين كل شعوب العالم،

(١) موشيه إيشون هتسوفيه، ٦-١٠-١٩٩٥.

(٢) صلاح الزرو، المرجع السابق، ص ٢٠، ٢١.

وكل واحد يريد أن يثبت أنه هو فقط ولا أحد غيره أقوى من الجميع.
وأنه سيقود حزبه للنصر. هو ليس أى شخص آخر! وأيضا يزعمون أن
هذا الأسلوب هو قمة الديمقراطية.

إن هذا الأسلوب يحول العملية الانتخابية بأسرها "لبارة" جسيمة
رخيصة، لا تحسمها المثل ولا الأيديولوجية، بل المظهر الشخصي و"قوة
تأثير" المرشح.

لقد كان الفيصل دائما، ولا يزال، معايير مختلفة في عالم "المقرا" والشريعة.
فالزعيم الحقيقي لا يخوض انتخابات. إن شاؤول أو داود لم يخوضوا
انتخابات لتولى الملك، بل كان العكس هو الصحيح. وسيدنا موسى
جادل الذات الألهية لمدة أسبوع كامل، وتقريبا "عصى أوامرنا"، ولم
يكن يريد أن يكون الزعيم الذى يُخرج شعب إسرائيل من أرض مصر.
لقد آمنوا بأنهم غير جديرين بهذا! وهو ما ينطبق على النبي إشعيا، وإرميا،
ونماذج أخرى كثيرة....

إن التنافس بشكل علني يؤدي لخسائر، خسائر مادية وخسائر أخلاقية.
فيتوجب حتى على السياسى أن يبدو طاهر الروح ذا أسلوب نظيف،
بدون أوساخ على ثيابه. فقد رفض الحاخام زيرا لسنوات أن يُرسم
كحاخام، فقط عندما أقنعوه بأن من يعين حاخاما تُغفر له ذنوبه، وقبل
المنصب بصموية^(١).

يصور المقال الممارسة الديمقراطية على أنها تصور غريب لا ينطبق إلا على مجتمع
كالمجتمع الأمريكى، كما شبهها بالمنازلات الرياضية (الوضيعة)، وشدد على أن
الزعيم الحقيقي لا يخوض انتخابات، ارتكازا على عدم خوض شاؤول أو داود
انتخابات لتولى الزعامة.

يجدر بنا هنا أن نلاحظ أن بريد القراء لا يعبر فقط عن رأى القراء، بل يعبر في
المقام الأول عن رأى الصحيفة التى لا يسمح القارئون عليها إلا بنشر ما يرونه
صوابا ويدعم مواقفهم، بل وأحيانا ما يختلقون رسائل بتوقعات مستعارة.

(١) أפרים יעיר، "להתמודד על כל הקופה"، מכתבים למערכת، הצופה، 25-2 -
1992، עמ' 4.

كما يجدر بنا أن نوضح أن الرسالة أشارت إلى "القاموس السياسى الأمريكى"، وهو نظام يتبنى الأسس الديمقراطية، على أنه "عامية أمريكية"، وفي هذا تقليل من قيم وركائز الديمقراطية.

والحل هو عدم التنافس بشكل علنى حتى لا تحدث خسائر. أى عدم اتباع النظام الديمقراطى، وتجاهله وبذء، لكونه نظاما دخيلا على الشريعة اليهودية والتاريخ اليهودى.

والغريب أن هناك اتجاهًا فى الصحافة الدينية لاستخدام الديمقراطية وشعاراتها لابتزاز أو انتقاد أية اجراءات سياسية تتعارض مع مصالحها، والدليل على ذلك، ما ورد فى صحيفة "هتسوفيه":

"بدا وزير الداخلية إيهود باراك مساء أمس الأول وهو يقف بجوار نعش رايبين عند مدخل الكنيس، منفعلًا جدًا ومتأثرًا للغاية، وعندما تكلم لم يستطع السيطرة على لسانه. ففى رد فعله على هذا الاغتيال الشنيع، كان من بين ما قاله: "يجب أن نحطمهم"، بل وفى رده على سؤال لمراسل التلفزيون عاد فأكد "نعم.. يجب تحطيمهم". وهذه الكلمات رغم أنها قيلت فى لحظة كرب وحزن. إلا أنها لا تتفق والأسلوب المتبع فى انظمة الحكم الديمقراطية، كما أنها كلمات غريبة عن الروح اليهودية.

... هناك من علقوا على هذا بقولهم: "إن الديمقراطيين لا يستخدمون عبارات شاذة تتناقض تماما مع نمط الحياة فى مجتمع ديمقراطى".

والواضح تماما، ان إيهود باراك الذى عمل ثلاثين عاما فى الجيش، لم يفلح بعد فى التخلص من الطابع العسكرى"^(١).

رغم أن القوى الدينية والصحافة الدينية المعبرة عنها لا تعترف بالنظام الديمقراطى كمرجعية، كما بدا لنا من الاقتباسات السابقة، فإنها لا تتورع كما فى الاقتباس الأخير عن استخدام شعارات الديمقراطية وترفعها كدرع لحماية

(١) "باراك الحزين"، هتسوفيه، ٧-١١-١٩٩٥، مختارات إسرائيلية، مرجع سابق، العدد ١٢، ص ٢٥

مصالحتها، ولذا لم يتجاوز المقال الذى نحن بصدده قول باراك: "يجب أن نحطمهم"، مشددا على أنه لا يتفق والأسلوب المتبع فى أنظمة الحكم الديمقراطية، لكنه لم ينس أن يعتبرها - فى نفس الجملة - "غريبة عن الروح اليهودية"، حتى لا يُتهم الكاتب من قبل المتدينين بالاهتمام بالنظام الديمقراطى، أو السعى لحمايته على حساب الأولوية المطلقة للشريعة والروح اليهودية.

ويتعارض الاقتباس السابق مع ما تطلع إليه مؤسسو ومنظرو الصهيونية الدينية ومنها تعاليم كوك الابن: "من أجل تحقيق حلم إسرائيل الكبرى دعا تسفى كوك - كوالده - إلى التعاون الوثيق مع العلمانيين فى إسرائيل ، حتى ولو خالف هؤلاء تعاليم الدين لأن (كل خطيئة فى إسرائيل مقدسة، حتى ولو كانت ضد مشيئته)"^(١) هذا وقد ورد فى صحيفة "هتسوفيه" استفتاء كشف لنا مؤشرات هامة حيث جاء فيه:

"وردا على سؤال كيف يمكن مواجهة هذه المشكلة التى تنطوى على خطر يهدد وحدة صفوف الشعب. قال حوالى ٧٠٪ أنه يجب تعميق التعليم الدينى وأسس الديمقراطية. ويرى أقل من ٢٠٪ أنه يجب التركيز فقط على تعليم الديمقراطية ويعتقد ٨٪ أنه يجب أن ينصب الاهتمام على التعاليم اليهودية بدون الربط بينها وبين الديمقراطية"^(٢).

حيث يكشف الاقتباس السابق أن من يرغبون ولديهم قناعة بجدوى تعليم الديمقراطية فقط يمثلون أقلية، وهو ما أبرزته الصحيفة لتتقل ما تريد بشكل غير مباشر، منسوبا لاستطلاع رأى قد يكون ترتيب الخيارات، وتوقيت طرحها مؤثرا على نتيجة الاستطلاع النهائية، ويعطى مؤشرات خادعة.

ج - إنكار الاعتماد على أغلبية فى الكنيست تركز على دعم عربي:

وإذا كانت القوى الدينية فى إسرائيل ترفض الديمقراطية التى يأخذ بها العلمانيون فى تسيير أمور الدولة، فإنها من ناحية أخرى، تنعى على هذه

(١) صلاح الزرو، المرجع السابق، ص ١٧٧.

(٢) مان، "بعد استفتاء واحد"، هتسوفيه، ٣-١٢-١٩٩٦.

الديمقراطية، أنها تستند في آلياتها المعهودة، على أصوات النواب العرب في الكنيست، وتقف منهم موقفا عنصريا له مرجعياته الدينية في مصادرها التراثية، وساوت بينهم وبين غلاة اليسار الإسرائيلي الذين يمثلهم حزب "ميرتس".

وقد تجلّى هذا الاتجاه، في مقال نشرته صحيفة "هتسوفيه"، تحت عنوان "مرة أخرى يعتمد رئيس الوزراء على "ميرتس" والعرب:

"ماذا لو وجدتم اليوم صحيفة ملقاه في شارع، وقرأتم فيها أن حكومة إسرائيل تسلم مناطق "أرض إسرائيل" لبنى إسماعيل. هل كنتم تصدقون أن المقصود صحيفة من عصرنا الحالي..

من أين يستمد بنيامين نتنياهو القوة لتلك الخطوات الخطيرة، إذا لم تكن من مظلة الحماية التي تمنحها له "ميرتس" والعرب؟ فمجددا تستند حكومة إسرائيل على ميرتس والعرب، و"بيبي" ^(١) يهدد ممثلي اليمين بأنه إذا صوتوا ضده، سيتحول لليسار.

لقد وعدوه بشبكة حماية، الأمر الذي رفض حتى يهود باراك أن يعتمد عليه! فقد قالوا له: لا تخف يا "بيبي"، نحن وراءك.

وهكذا، بدلا من الحصول على "بيبي" حصلنا على "طبيي" ^(٢) ^(٣).

ونلاحظ في الاقتباس السابق أن الكاتب استخدم تعبير "بنى إسماعيل" في إشارة للعرب، والمقصود هنا التحقير، لأن يهودا هليفى أوضح في كتابه "هكوزارى" (الخزر): "إن النسل الراقى بدأ بـيعقوب". واستنادا إلى المرويات التوراتية، فإن سائر الأبناء (يقصد إبراهيم وإسحق) كان لنسلهم نفايات. فإبراهيم انجب إسماعيل، وإسحق انجب عيسو، أما يعقوب فلم تكن لديه في نسله نفايات. وقد

(١) بيبي: اسم التذليل لبنيامين نتنياهو.

(٢) طبيي: أحد الطبيي المستشار السابق لياسر عرفات، وعضو الكنيست، ومؤسس حزب داخل حدود ٤٨، والذي يهاجمه المتطرفون اليهود كثيرا باعتباره رمزا (للإرهاب) الفلسطيني، وغير مخلص للجنسية الإسرائيلية التي يحملها.

(٣) נתן אשל، "שוב נשען ממשלת ישראל סומך על מר"צ והערבים"، הצופה، 30-12-1996، עמ' 3.

شبهت المرويات التلمودية بنى إسماعيل بالتشبية: بالكلب، والحمار، والغباء الشديد، والسرقة. وهى تزعم أن غريزة الشر أكبر من غريزة الخير بثلاث عشر سنة، وهو الفارق فى العمر بين إسماعيل وإسحق، أى أنها تصف "بنى إسماعيل"، بأنهم رمز الشر فى العالم^(١).

كما نلاحظ أن الحديث عن إسرائيل كواحة للديمقراطية فى الشرق الأوسط - الذى يردده قادتها مرارا وتكرارا- يتعارض تماما مع الاقتباس السابق المنشور فى صحيفة تعبر عن مواقف الصهيونية الدينية، فالصحيفة ترفض احترام الأغلبية، وترى أن "شبكة الأمن" (أو مظلة الحماية)، وهى عبارة عن تعهد بعدم التصويت لإسقاط الحكومة، تعد أمرا مكروها وأقرب للخيانة، لمجرد أن قسما من تلك الأغلبية داخل الكنيست ينتمى للعرب أو لحزب صهيونى يسارى علمانى. ويتفق مع هذا التوجه العنصرى، ما جاء فى صحيفة "هموديع"، تحت عنوان "عالم البهائم" كتب جى بن هينوم:

"اليهودى فى إسرائيل بين السائحين من كل أرجاء العالم مثله كمثل زهرة سوسن غارقة بين الأشواك. والسؤال هو ماذا سيحدث لروحه الطاهرة النقية؟"^(٢).

أى أن عدم احترام الديمقراطية ينبع من عنصرية فجأة تبديها القوى الدينية اليهودية تجاه "الأغيار"، حيث تعدهم مجرد أشواك تهدد قيم الجمال والطهر.

"وفى عام ١٩٧٠ قال نائب رئيس بلدية القدس ميرون بننشتى جملة مشهورة أزعجت أنصار إسرائيل فى الدول الغربية الكبرى كثيرا حيث قال: "إما أن تكون لنا دولة يهودية ولكن غير ديمقراطية، أو دولة ديمقراطية لكن غير يهودية". والجهة الوحيدة التى لم يصدمها هذا التصريح هى اليمين الإسرائيلية المتطرف. فقد أيد هذه

(١) راجع: رشاد عبد الله الشامي (د)، موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية، المكتب المصرى، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ١٥٨، ١٥٩.

(٢) مردכי گرليץ، "عולם הבהמות"، המודיע، 17-7-1998.

الفكرة الحاخام مثير كاهانا زعيم عصبة الدفاع اليهودية المعروفة بعملياتها الإرهابية، ولا تناقض بين ما قاله بنبشتي اليسارى والحاخام كاهانا اليميني، فكلاهما يوافق على أن أية دولة يهودية لا يمكن أن تكون ديمقراطية، ولكن كلا منهما يقف في طرف: فالأول يريد دولة ديمقراطية، والثاني يريد دولة يهودية^(١). وهو ما يعنى بالضرورة تجاهل مصالح وحقوق المواطنين العرب.

وقد نشرت "هتسوفيه" تحت عنوان "رسالة لأعضاء مؤسسات الحركة-الأغلبية الضيقة ليست أخلاقية" تقول:

"إن الشعور الذى داخلنا هو أننا لن نستطيع، من جانب واحد، اتخاذ أساليب تزداد تحذرا ونؤمن بصحتها. فالذى قلناه ضد حكومة حزب العمل، هو أن الأغلبية الضيقة لا تستطيع أن تحسم خطوات مؤثرة على المدى البعيد، وتقدم تنازلات عن أجزاء من "أرض إسرائيل"، تمسنا نحن أيضا. صحيح أنه لدينا أغلبية أكبر، وأغلبية يهودية، لكن هذه الأغلبية لا تتيح لنا - أخلاقيا - السير قدما في طريق يرفضه نصف الشعب تقريبا. واستطلاعات الرأى توضح أنه حتى بين ناخبي الأحزاب الأعضاء في الائتلاف، وناخبي يبيى نتياهو، كرئيس للوزراء، يوجد من يفضلون، بعد ما حدث، حلا وسطا مع الفلسطينيين"^(٢).

ومن الاقتباس السابق يتضح لنا أن القضية هى عدم وجود ظروف ملائمة لتوقيع اتفاقيات مع الفلسطينيين، وأن الحل من وجهة نظر الصحيفة هو عدم الاعتراف بالأغلبية الحالية رغم أنها أكبر عن ذى قبل، ورغم أنها أغلبية يهودية. مع تأجيل القرارات المصيرية مثل التنازل عن أجزاء من "أرض إسرائيل" لأجيال قادمة. فالصحيفة تدعو أعضاء حزب "المفدال" لتأييد الدخول في حلقة مفرغة. فبعد أن تم إزالة كل العراقيل التى كانت موضوعة أمام حكومة اليسار، لم يعد

(١) أحمد محمد رمضان، المرجع السابق، ص ٣٩.

(٢) יוסף (יוסקה) שפירא، "איגרת לחברי מוסדות התנועה"، הצופה، 1- 11- 1996، עמ' 5.

متاحا القبول بالأغلبية أو تطبيق قراراتها، بزعم أنه يتوجب الانتظار حتى يتحقق الشرط الثالث الجديد. فبعد تحقق أغلبية كبيرة (أو أغلبية خاصة تتطلب ثلثي الأصوات أو ثلاثة أرباعها)، وأغلبية يهودية، أصبحنا في انتظار أغلبية تتخذ قرارات مقبولة أخلاقيا. وهى بالتالى ديمقراطية خلت من أى مضمون لها، ولا يمكن الاعتراف بها أو التعويل عليها. طالما أن الهدف دائما هو محاولة تخطى حقوق قسم من المواطنين وعدم الاعتراف بالأغلبية البسيطة عند اتخاذ القرارات أو اشتراط الحصول على أغلبية يهودية.

الخلاصة:

وهكذا يتضح مما سبق، أن الصحافة الدينية تحمل عداا شديدا للأفكار الديمقراطية وللعلمانيين على حد السواء، وأنها تعبر عن ذلك فى مناسبات عديدة وبوسائل متعددة. كما يتضح أن إسرائيل ليست ديمقراطية، لأن الدولة الديمقراطية يختار فيها المواطنون الحكم فى انتخابات حرة. فى حين أن مدلول الضم هو أن إسرائيل غير ديمقراطية، لأنه فى حدود الضم، ليس لكل السكان حق الانتخاب. وقد اختارت إسرائيل أن تتوسع فى مناطق بها نحو مليون ونصف مليون من السكان، وأن تعلن ضمها كجزء من الدولة، بدون أن تعطى أولئك السكان حقوقا ديمقراطية.

أما المتدينون، فقد تخطوا هذا الغلو والتجاهل لمبادئ الديمقراطية، ووصلوا إلى قناعة بأنها خطر داهم على حقوقهم ومكتسباتهم، لكنها فى الوقت نفسه يمكن أن تصبح مطية لهم للوصول - عبر تكتيك مرحلى يرى "إن الوطنيين المتدينين على استعداد- لفرض حلمهم بالسيطرة على الشعب اليهودى، عن طريق صناديق الاقتراع أولا، ولكن أيضا للأكثر تشددا منهم عن طريق القوة. إنهم يعتبرون أوامر التوراة أهم من الديمقراطية، أو من حقوق الإنسان، هذه الاهتمامات الإنسانية النافهة التى لا تساوى شيئا أمام الخطط الإلهية"^(١). أى أنهم فى الواقع لا يؤمنون بالديمقراطية خاصة وأنهم لا يزالون أقلية فى المجتمع الإسرائيلى.

(١) إيمانويل هيمن، المرجع السابق، ص ١٤.

وعلى ذلك نخلص لما يلي:

- ١- تحض الصحافة الدينية في إسرائيل على اتباع نظام عنصري قائم على التفرقة والتمييز بين السكان، فهي ترفض الديمقراطية بشكل عام، وإذا ارتكزت على أغلبية تضم أصواتا من فلسطيني الـ ٤٨ بشكل خاص.
 - ٢- ترفض القوى الدينية والصحافة المعبرة عنها في إسرائيل الديمقراطية على اعتبار أنها صنم، وانها بالتالي تتعارض مع الشريعة اليهودية.
 - ٣- تنادى الصهيونية الدينية بإقامة حواجز تفصل بين العالم اليهودي الذي يجب الحفاظ عليه كما هو وبين العالم الخارجي المتغير، حيث ينظر إلى قيم العالم الحديث على أنها قيم سلبية مدمرة.
 - ٤- لا تتورع الصحافة الدينية عن استخدام الديمقراطية والمطالبة بها إذا كانت تحقق مصالحها، من خلال الهجوم على من ترى أنهم لا يلتزمون بالديمقراطية من القوى العلمانية.
- وعلى هذا نقول بوضوح أن النظام السياسي في إسرائيل يقوم على فكرة الديمقراطية الشكلية - وقد "سبق لإميل حبيسي"^(١) أن شبهها بالفاكهة الشمعية"^(٢) - وأن الصراع بين العلمانيين والمتدينين مُرْشح لمزيد من التصعيد في الفترة القريبة القادمة، طالما لم يكن هناك خطر خارجي يهدد إسرائيل.

(١) كاتب راحل من فلسطيني الـ ٤٨، وكان أيضا رئيس تحرير، وناشط سياسي في حزب راکاح، وعضو كنيست..

(٢) عبد القادر ياسين، "القرار السياسي الإسرائيلي إبان حكم مثير"، شؤون فلسطينية، عدد سبتمبر ١٩٧٤، ص ١١٧.

3

**شريعة يوم السبت
وتجنيد طلبة المعاهد الدينية والفتيات
و"الكشירות"**

المبحث الأول

موقف الصحافة الدينية في إسرائيل من قضية حرمة السبت

تمهيد:

الشريعة في اللغة، من "شرع وتعنى فعل وشرع شرعا أخذ يفعل. وشرع الدين: سنه وبينه. وشرع الأمر: جعله مشروعا مسنونا. والتشريع: سن القوانين"^(١).

كذلك "الشريعة: ما شرع الله لعباده من الدين وشرع لهم: أى سنّ، وشرع فى الأمر: أى خاصّ"^(٢) وفى الاصطلاح هى عبارة عن "الأحكام التى سنّها الله لعباده على لسان رسول من الرسل. وبهذا المعنى يقال "الشريعة الموسوية" نسبة لموسى عليه السلام"^(٣) وفى اللغة العبرية (הַלָּכָה) هالاخاه: من الفعل العبري (הלך) أى "ذهب"، وترجع الكلمة لأصول آرامية ومعناها المجازى "منهاج، قانون، قاعدة، تقليد". وهى تعنى "الشريعة اليهودية". "ويطلق هذا الاسم فى الوقت الراهن على الجزء الذى يحدد المحرمات والمحللات، وما هو واجب، وما هو غير واجب فى الديانة اليهودية. وللهالاخاه مكانة متميزة فى التوراة المكتوبة، ولها مكانة أساسية فى التوراة الشفهية. وتعالج الهالاخاه العلاقات بين فرد وآخر، وبين الفرد والجماعة وبين جماعة وأخرى، وبين بنى إسرائيل وباقي الشعوب"^(٤)، ومن هنا تبرز أهمية الهالاخاه باعتبارها نسق، ونظام، ومرجعية، وأسلوب حياة، بالنسبة لليهودى المتدين.

"وللشريعة اليهودية أربعة مصادر هي:

-
- (١) المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ١٩٩٨، ص ٣٤٠.
 - (٢) محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٩٢، ص ١٤١.
 - (٣) محمد على محجوب(د)، المدخل لدراسة التشريع الإسلامى والنظريات العامة فى المعاملات، د. ن، ١٩٨٩، ص ٥٠.
 - (٤) שלמה זלמן אריאל، שם، עמ' 48، 49.

١- القانون المكتوب، أى العهد القديم^(١).

٢- القانون الشفهى الذى تم جمعه فى التلمود.

٣- سلطة الحكماء والرايين الذين لهم الحق فى تهذيب أو تعديل أية وصية توراثية.

٤- العادات اليهودية. وهناك عدة أنواع من الشرائع، مثل شريعة موسى : وهى عرف أو سنة أو رأى ينسب لموسى، وشريعة ناسخة لنص: أى عرف يَجِبُ نصا دينيا، و شريعة ناتجة عن المناقشة أى (الاجتهاد). ولليهود ٦١٣ فريضة واجبة^(٢)، عليهم أن يعملوا بها لأن الشريعة مصدرها الله. وقوانين الشريعة الدينية اليهودية تصلح للدين والدنيا، وهى نظام حياة، وغير قابلة للتغيير أو التبديل^(٣).

وتختلف التيارات اليهودية الحديثة فى نظرتها للشريعة، "فالأرثوذكس يعتبرونها ملزمة بشكل مطلق، بحيث إذا ظهرت مشكلة وجب أن تطبق قوانين الشريعة عليها. أما الإصلاحيون فيقبلون أن ترشداهم روح الشريعة، ويرفضون الالتزام الحرفى بها، وإن واجهتهم مشكلة جديدة، فإنهم لا يتخرجون من مخالفة الشريعة من أجل حلها. أما المحافظون، فقد اتخذوا موقفا وسطيا بين الرايين السابقين، فنصوص الشريعة عندهم ملزمة، لكن تفسير هذه النصوص خاضع للتغيير، وفقا

(١) العهد القديم: ينقسم إلى ثلاثة أقسام رئيسية هي التوراة ، الأنبياء، المكتوبات، والتي يشار إليها اختصارا بكلمة "تناخ"، وهو يضم تسعة وثلاثون سفرا حسب النسخة البروتستانتية وستة وأربعون حسب النسخة الكاثوليكية. والأسفار إجمالا تنسم بالسمة الدينية، لكن منها ما هو تاريخي فى الدرجة الأولى، ومنها ما هو أخلاقي وتشريعي وحكم ومواعظ ومراثي، وهناك سفران لا يبدو لهما صلة ببني إسرائيل هما أيوب (من بني عيسو) وسفر يونان (النبي المرسل لنينوي). ومن أسفار العهد القديم ما هو طويل تزيد صفحاته على المائة، ومنها ما هو قصير أو قصير جدا. (انظر: محمد عزة دروزة، تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، د.ت، الجزء الأول، ص ١٣ : ١٥).

(٢) ٦١٣ فريضة: المقصود بها الشرائع الستائة وثلاث عشرة المذكورة فى التوراة، والتي أوحى لموسى فى سيناء، وهي تشمل ثلاثائة وخمس وستون شريعة ناهية، تأمر بعدم فعل، بما يتوافق مع أيام السنة، ومائتان وثمانية وأربعون شريعة مفروضة، تأمر بفعل، بما يتوافق مع أعضاء جسم الإنسان. (١٨٣) لعين: **שלמה זלמן אריאל، שם، עמ' 183.**

(٣) راجع: رشاد عبد الله الشامي (د)، إشكالية الهوية فى إسرائيل، مرجع سابق، ص ٢٥٤.

للتطورات، فإن واجهتهم مشكلة، فإنهم يستعينون بقوانين الشريعة للوصول إلى حلول لم تعرفها الشريعة في السابق^(١)، أى أن الشريعة اليهودية في الواقع مطاطة، ويمكن للمفسرين، ولرجال السياسة أيضاً، تطويعها لخدمة مصالح بعينها.

وفى إسرائيل، يواجه الناس كثيراً من المشاكل الناجمة عن محاولة تطبيق التشريعات بحذافيرها بعد تفسيرها حرفياً. خاصة وأنهم العلمانيين - وهم أغلبية - غير ملتزمين بالتشريعات اليهودية من الناحية الفعلية والنظرية، أى أنهم لا يتبعونها من ناحية المبدأ.

أولاً- تفاصيل تاريخي وتشريعي:

"يعد الجدل حول فرض الشريعة من خلال فرض الالتزام بتعاليم يوم السبت من القضايا ذات الأبعاد الاجتماعية والسياسية بشكل مباشر في المجتمع الإسرائيلي والجدل يدور بشكل أساسي حول مكانة يوم السبت وسبل فرض الالتزام الرسمي بتعاليمه"^(٢). والاختلاف بشأن حق فرض أحكام يوم السبت من "أبرز أشكال الخلاف حول تطبيق أحكام الشريعة على اليهود العلمانيين، والذين اختاروا سبلاً أخرى خاصة بهم للاحتفال بيوم السبت والأعياد، ولا يرغبون في أن يقيدوا أنفسهم بالالتزام بالفرائض القديمة وأيام الصوم"^(٣). فيوم السبت لا يمثل بالنسبة لليهودى المتدين مجرد يوم عطلة تُتلى فيها الصلوات في المعابد، بل يوم سكون تام وانقطاع عن العمل والحركة. مما يجعل اليهودى المتدين يسعى لفرض احترام السبت على الجميع، حتى لا يندسوا قدسيته. وهو الأمر الذى يترتب عليه مشاكل جمة ومواجهات عنيفة.

وتكمن أهمية قضية السبت أيضاً في حقيقة أن "السبت هو أحد ثلاثة مفاهيم اجتماعية رئيسية للديانة اليهودية، والتي يستشهد بها المفكرون الأصوليون لتعريف اليهودية والتمييز بينها وبين المعتقدات التوحيدية الأخرى. والمبدأ الآخران هما

(1) Encyclopedia Judaica .Op ,Cit . Vol. 7, P. 1156; 1157.

(٢) ישעיהו ליבוביץ, שם, עמ' 108.

(٣) يعقوب ملكين، المرجع السابق، ص ١٥.

(قواعد الطعام "كشירות" وطهارة العائلة - القواعد الجنسية "طهارات همشبحاه")^(١).

"ويوم السبت عند اليهود هو عيدهم الأسبوعي، وهم يقدسون هذا اليوم، وإن كانت التوراة قد تضاربت فيها الروايات حول سبب قدسيته، ففي اعتقادهم أن الرب استراح فيه بعد خلق العالم، ويبدأون الاحتفال به من غروب شمس يوم الجمعة، حتى غروب يوم السبت، وإن كان هناك من يؤكد أن نظام اليوم السابع (السبت) هو في الواقع يرجع إلى بابل)، وبالتالي هو من التأثيرات البابلية على التوراة والديانة اليهودية"^(٢).

وأصل تقديس السبت يأتي في العهد القديم على صيغتين الأولى: "أذكر يوم السبت لتقدس، في ستة أيام تعمل وتصنع جميع أعمالك، واليوم السابع سبت للرب إلهك لا تصنع فيه عملاً لك أنت وابنك وعبدك وأمتك وبهيمنتك ونزيلك الذي في داخل أبوابك. لأن الرب في ستة أيام خلق السموات والأرض والبحر وجميع ما فيها وفي اليوم السابع إسترأح، ولذلك بارك الرب يوم السبت وقده" (الخروج ٢٠: ٨-١٢)

أما الصيغة الثانية فهي: "احفظ يوم السبت وقده كما أمرك الرب إلهك، في ستة أيام تعمل وتصنع جميع أعمالك، واليوم السبت سبت للرب إلهك لا تعمل فيه عملاً أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك وثورك وحمارك وسائر بهائمك ونزيلك الذي في داخل أبوابك لكي يسترأح عبدك وأمتك مثلك. وأذكر أنك كنت عبداً في أرض مصر فأخرجك الرب إلهك من هناك بيد قديرة وذراع مبسوطة ولذلك أمرك إلهك أن تحفظ يوم السبت" (التثنية ٥: ١٢-١٥).

والصيغة الأولى تركز على أن "سبب التقديس هو تجلي إحدى صفات الرب وهي إنه خالق العالم، وحيث أنه يجب على البشر أن يسيروا في طريق الرب

(١) ديفيد لاندوا، المرجع السابق، ص 39.

(٢) محمد بيومي مهران (د)، دراسات في حضارات الشرق الأدنى - إسرائيل، مكتبة التوني، القاهرة، ١٩٨٣، ص ٣٣٦.

ويتشبهوا به ويتمسكوا به فيقومون بكل أعمالهم في ستة أيام، ويتوقفوا عن العمل في اليوم السابع، على غرار ما فعل الرب في خلق العالم". بينما ترد الصيغة الثانية سبب تقديس السبت إلى الاعتراف بالجميل والحفاظ على الولاء له وعبادته لأنه أحسن إليهم^(١). ويرجع سبب وجود صيغتين، متباينتين في الأسلوب، ومتناقضتين في تبرير سبب التقديس، في الأغلب إلى كتابة العهد القديم من أكثر من مصدر، وتدوينه على مدار قرون.

وحتى نعلم إلى أى مدى تختلط وتمتزج السياسة بالدين لدى الأحزاب الدينية، نشير إلى واقعة "سقوط الحكومة الإسرائيلية في عام ١٩٧٦، وإجراء انتخابات مبكرة على خلفية النزاع حول تدنيس يوم السبت، ففي هذا العام رفض حزب "المفدال" تأييد الحكومة في اقتراح سحب الثقة، الذي قدمه حزب "أجودات إسرائيل"، لعقد حفل استقبال طائرات (اف-١٦)، وبالفعل سقطت الحكومة وأجريت الانتخابات المبكرة في مايو ١٩٧٧^(٢).

تأنيد الأسماء المختلفة ليوم الراحة عند اليهود:

١ - "شبات (שַׁבָּת) أى السبت وهو اسم يتصل بالفعل شافات (שָׁפַת) الذى يعني: استراح وانقطع عن العمل. فالانقطاع عن العمل هو أمر أساسى في اليوم السابع من أيام الأسبوع، والراحة فيه واجبة، ولذلك سمي هذا اليوم باسم (شبات).

وقد ورد في سفر الخروج (٣١-١٤) فتحفظون السبت لأنه مقدس لكم.

٢ - (هايوم هسفيعي) أى اليوم السابع. سمي يوم السبت في سفر التكوين بـ (اليوم السابع) وورد هذا الاسم مرتبطاً بقصة خلق الكون، حيث استغرقت أحداث الخلق ستة أيام، ثم اكتملت العملية كلها عندما استراح الرب الخالق في اليوم السابع.

(١) رشاد عبد الله الشامي(د)، الوصايا العشر في اليهودية، دراسة مقارنة في المسيحية والإسلام، الزهراء، القاهرة، ١٩٩٣، ص ١٧١، ١٧٠.

(٢) www.politicsnow.co.il

فقد جاء في سفر التكوين (٢: ١-٢) "فأكملت السموات والأرض وكل جندها، وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل. فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل. وبارك الله اليوم السابع وقدمه، لأنه استراح من جميع عمله الذي عمل الله خالقا".

٣- (شبات منوحا) أى سبت راحة. إذ كان الرب قد أنجز أعمالا محددة في كل يوم من الأيام الستة حتى أنهى عملية خلق الكون، فماذا خلق في اليوم السابع؟ يرى حكماء اليهود وفقهاؤهم أن هذا اليوم كان متما لعمليات الخلق جميعها. فبعد أن أنهى الرب عمليات خلق الكون، لم يكن هناك إلا شيئا واحدا يجب عمله، وهذا الشيء هو (الراحة)، ولهذا جاء السبت فجاءت الراحة، ومن ثم جاء الاسم: (شبات منوحا)"^(١).

ويذكر أن "اسم "شبات منوحا" تحمله منظمة تأسست عام ٢٠٠٤ تدعو للحفاظ على حرمة السبت وتدعوا رجال الأعمال والمستثمرين للمشاركة في الضغوط لتطبيقه خاصة في المطارات، والأسواق التجارية"^(٢).

٤- (شبات قودش) أى السبت المقدس. فضلا على أن هذا الاسم يدل على حتمية الانقطاع عن أى عمل في هذا اليوم، فإنه يدل أيضا على الروح الخاصة المميزة لهذا اليوم، ويشير إلى مدى قداسه عند بني إسرائيل. وقد ورد هذا الاسم في كثير من المواضع في المقرأ، بل وأكدت على قدسيته كل المصادر اليهودية.

ففى سفر التكوين ٢: ٣ (وبارك الله اليوم السابع وقدمه..) فتقديس السبت من الوصايا الأساسية والجوهرية في اليهودية، وشاهد على ما ورد -على سبيل المثال - في سفر الخروج ٢٠: ٨ (أذكر يوم السبت لتقدسه)، وفي التثنية ٥: ١٢ (احفظ يوم السبت لتقدسه ..) وفي الخروج ٢٠: ١١ (... لذلك بارك الرب يوم السبت لأنه

(١) دבורה وهרב منחם הכהן(בעריכת) ، חגים ומועדים، שבת ראש חודש، כתר، ירושלים، 1979، עמ' 12.

(٢) נא לעיין: שאול שיף، "צמרת העסקים של ישראל יוצאת למאבק על השבת"، הצופה، 24 - 2004.

مقدس لكم ...)، (...وأما اليوم السابع ففيه سبت عطلة مقدس للرب ...) ، وفي سفر نحemia ٩ : ١٤ (وعرفتهم سبتك المقدس ...)

٥ - (شبات شالوم): أى سبت سلام. إن تسميه يوم السبت بهذا الاسم، دليل على أهمية العيش في سلام في هذا اليوم، فيجب أن تخيم على الجميع روح المرح والسرور والسلام، ويجب أن يشعر الفرد والجماعة بنوع من الطمأنينة في هذا اليوم. وقد صار هذا الاسم (شبات شالوم) يستخدم كعبارة تهنئة ونحية خاصة، يتبادلها اليهود فيما بينهم في يوم السبت^(١).

٦ - (شبات هملكا): أى السبت الملكة. "تشير هذه التسمية إلى المكانة العظيمة التي يحتلها السبت في نظر حافظيه، ففي تشبيه يوم السبت بالملكة، إظهار لجلال هذا اليوم وأهميته. يبدو ذلك واضحا عندما ينتظر اليهودى مجيء السبت كل أسبوع وكأنه على موعد مع ملكة متوجة قادمة، أو كأنه يستقبل عروسا في ليلة زفافها"^(٢). ويفهم من التسميات المختلفة للسبت: ارتباطه بالانقطاع عن العمل، وارتباطه بأحداث خلق العالم كيوم سابع تم فيه الخلق، وكذلك التأكيد على أنه يوم مقدس، وله مكانة عظيمة.

"وترتبط وصية السبت بالمعاناة التي عاشها بنو إسرائيل في مصر، فأولئك الذين كانوا عبيدا في أرض مصر، أيام الفراعنة، تخلصوا من نير العبودية ، لذلك أمرهم موسى (عليه السلام) -حسب الفكر اليهودي- بأن يتقيدوا بيوم للراحة كل أسبوع ولم تخصص هذه الوصية، بنى إسرائيل فقط الذين قبلوا الشريعة، لكنها خصت أيضا جميع الخدم والخدامات الذين يدينون بديانات أخرى، بل إنها عانيت كذلك بالحيوانات التي تخدم في الحقول. ومن ثم يتضح أن هذه الوصية تحث اليهود على التحلى بالرحمة والشفقة التي يبرزها عمليا يوم السبت عندما يتيح فرصة الراحة لعبيده وحيواناته أيضا. لقد تألفت في السبت ثلاثة مفاهيم: مفهوم الخلق، والمفهوم

(١) محمد المهورى(د)، السبت والجمعة في اليهودية والإسلام، دار الهاني، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٨٨ ص ١٢، ١١.

(٢) رشاد عبد الله الشامي(د)، المرجع السابق، ص ١٨٥.

الاجتماعى أو الإنسانى، ومفهوم التحرر من العبودية بخروج بنى إسرائيل من مصر^(١). وهذا لا يتحقق على أرض الواقع، حيث لا تتورع القوات الإسرائيلية عن التنكيل بالفلسطينيين ومهاجمتهم في أيام السبت، رغم ارتباط هذا اليوم بمفهوم التحرر من العبودية، واحتمالات غضب الرب لتدنيس حرمة السبت، وما يترتب على ذلك من عودة العبودية، أو وقوع كوارث، "لذا يعمد المتدينون قبيل الانتخابات على تخويف الناخبين المتدينين من أن انتخاب أنصار اليسار سيؤدى إلى كوارث عديدة من بينها: تدنيس حرمة السبت"^(٢).

"وتبلغ مدة السبت ٢٥ ساعة، تبدأ غالبا من الساعة الرابعة من مساء الجمعة، وتنتهى فى الخامسة من مساء السبت"^(٣).

والاحتفال بالسبت عند السامريين يعد بالنسبة لهم "شعيرة دينية أساسية، حيث يجتمعون للعبادة ووجوههم شطر جبل جريزيم^(٤)، يقف عليه المصلون على سجادة سمكة مبسوطة على الأرض، ويتوجب على المصلين أولا أن يخلعوا احذيتهم (مثل القرائين)، وهم يغطون رؤوسهم أثناء الصلاة، ولا يشعلون فى هذا اليوم نارا، ويأكلون وجبات ساخنة أعدت سلفا فى اليوم السابق، وأيضا عندما ينثرون الأنوار يبقون عليها كل يوم سبت"^(٥).

وقد اعتبر اليهودى نفسه "مستولا عن راحة الآخرين فى يوم عطلته، فقد حثته على التفكير فى خادمه وأمه، والغريب، الأرملة، واليتيم -بينما هو فى غمرة استمتاعه ببهجة السبت ويستريح. وإن كان أشعيا قد وسع دائرة مقدسى السبت، وتنبأ فى نبوءته بـ (السبت العالمى) الذى يحافظ عليه الغرباء أيضا ويقدسونه. ونقف

(١) محمد الهوارى (د)، المرجع السابق، ص 20.

(٢) נא לעיין: ספי רכלבבקי, חמורו של משיח, שם, עמ' 315.

(٣) صلاح الزرو، المرجع السابق، ص ٤٤٢.

(٤) جبل جريزيم : جبل صخري يطل على الوادي الذي تقع فيه شكيم (نابلس فيما بعد). ويواجه جبل عيبال على ارتفاع ٢٨٤٩ قدماً فوق سطح البحر، و٧٠٠ قدم فوق مدينة نابلس. وقد بُني فوق جريزيم أقدم هيكل للعبرانيين، ثم جاء داود فأبطله وعطله بعد أن نقل عاصمته إلى القدس. (راجع: عبد الوهاب المسيري (د)، المرجع السابق، المجلد الخامس، ص ٣٢١).

(5) religious Life & Communities, keter, 1924, p.68

على هذا المفهوم عند أشعيا من خلال أقواله التى وجهها فى هذا الصدد إلى (الإنسان) و(ابن آدم) و(ابن الغريب) و(كل ذى جسد). (أشعيا ٥٦ : ٢-٧، ٢٣ : ٦٦)^(١).

"ومن المحظور الاحتفاظ أو لمس أدوات الكتابة والأشياء التى من شأنها تدنيس حرمة السبت مثل المطرقة، الإبرة، ويتم إعطاء الأوامر والتعليمات للعمال من غير اليهود قبل دخول يوم السبت لأن ذلك فعل محرم أيضا"^(٢).

"يرتبط هذا المفهوم الاجتماعى ارتباطا شديدا بمفهوم الخلاص والتحرر من العبودية بخروج بنى إسرائيل من مصر، وامتنانهم للرب مخلصهم ومحررهم. فكما تحرر بنو إسرائيل وتخلصوا من أعباء العمل الجائر طوال تلك الأيام التى قضوها فى مصر، فُرض السبت حتى يكون راحة لجميع المضطهدين والمظلومين منهم، وحتى يتحرر الجميع فى هذا اليوم من كل قيد، ويبعث فيهم الأمل فى مستقبل أكثر إشراقا. لقد صار السبت كذلك (ذكرى لأحداث الخروج من مصر)"^(٣).

وقد وضع التلمود قاعدة أساسية للنظام الصحيح الذى يجب أن يتبعه بنو إسرائيل فى أيام عطلاتهم، فأشار إلى: "مراعاة أن يكون (النصف للرب والنصف لأنفسكم). ومن ثم يجب أن تشبع حاجات الروح والجسد معا، ولا يجب على اليهودى أن يهتم بأحدهما على حساب الآخر. فحتى يحافظ على قداسة السبت، يجب أن يكرس جزءا من هذا اليوم للممارسات الدينية، فيعكف على الصلاة وقراءة النصوص المقدسة، ويستغرق فى التأمل"^(٤).

(١) محمد الهوارى (د)، المرجع السابق، ص ٢٢-٥٩.

(٢) נא לעיין: דבורה והרב מנחם הכהן (בעריכת)، חגים ומועדים، שבת ראש חודש، כתר، ירושלים، 1979، עמ' 19.

(٣) محمد الهوارى (د)، المرجع السابق، ص ٢٣.

(4) Joseph (Morris), Judaism As Creed and Life, 2nd and iv.Ed, London and New York, 1910.

وسر الدعوة لحفظ السبت وعدم تدنيسه، يرجع في رأى أغلب المتدينين، إلى الدمار الشامل الذى يحرق كل شيء عندما يصب الرب جام غضبه على مدنسى السبت. وعن هذا يقول الرب على لسان إرميا: (لكن إن لم تسمعوا لى لتقدسوا يوم السبت لكيلا تحملوا حملا ولا تدخلوه فى أبواب أورشليم يوم السبت فإنى أشعل نارا فى أبوابها فتأكل قصور أورشليم ولا تنطفئ). (إرميا ١٧: ١٩) -وأعاد النبى حزقيال أيضا نفس هذه الصورة التى كانت عليها أورشليم فى عهده، وأوضح أن تدنيس السبت كان من بين أخطائه (حزقيال ٨: ٢٢). ويصور سفر حزقيال، غضب الرب الشديد لما ارتكبه بنو إسرائيل من أخطاء طوال تاريخهم القديم. ورغم كثرة أخطاء بنى إسرائيل، قبل خروجهم من مصر وبعده، كان تدنيس السبت هو الخطأ الدينى البارز بينها، ويبدو أنه من أقدم أخطاء بنى إسرائيل حيث يرجع إلى زمن وجودهم فى صحراء سيناء، أى الزمن الذى كان فيه موسى فى وسطهم.

ويقول الرب على لسان حزقيال: (فأخرجتهم من أرض مصر وأتيت بهم إلى البرية. وأعطيتهم فرائضى وعرفتهم أحكامى التى إن عملها إنسان يحيا بها. وأعطيتهم أيضا سبوتى لتكون علامة بينى وبينهم ليعلموا أنى أنا الرب مقدسهم. فتمرد على بيت إسرائيل فى البرية. ولم يسلكوا فى فرائضى ورفضوا أحكامى التى إن عملها إنسان يحيا بها ونجسوا سبوتى كثيرا). (حزقيال ٢٠: ١٠-١٢)

"وقد كانت الحرب الهجومية محرمة وممنوعة عند اليهود يوم السبت، وكان الحاخام مخولا فى تحديد نوعية الحرب، فإذا أعلن الحاخام أن الجند اليهود فى خطر ما، أعتبرت الحرب دفاعية، وجاز شنها يوم السبت. ولذلك نلاحظ أن قادة الجيش الإسرائيلى يحرصون فى الوقت الحاضر على إظهار حروبهم أمام الرأى العام اليهودى والعالمى على أنها حروب دفاعية، حتى يتعدوا عن مشاكل السبت وغيرها من مقتضيات الحرب الهجومية، كضرورة الحصول على تصريح، فى حالة التعبئة للحرب الهجومية، من المجلس الدينى الأعلى"^(١). وعلى أى حال فإن إرهابات هذا التجاوز ترجع لواقعة "انقضاخ انطوخيسوس على المتمردين اليهود فى أحد أيام

(١) حسن ظاظا(د)، الفكر الدينى الإسرائيلى، أطواره ومذاهبه، مكتبة سعيد رأفت، القاهرة، ١٩٧٥، ص ٢٠١.

السبت، حيث لم يكن يجوز دينيا لليهود الحركة أو القتال في ذلك اليوم، وقهرهم بعنف، حيث أفتى الحاخامات على إثر هذه الحادثة بجواز الدفاع عن النفس يوم السبت^(١).

وحينما واجه المستعمرون اليهود لأول مرة مشكلة "سنة التبوير" (سنوات هشميطاه)، وهى السنة السبئية السابعة، "كان موهيلفير من ضمن الحاخامات الذين افتوا بوجوب زراعة الأرض في السنة السبئية بعد بيعها "للأغيار" بيعا صوريا^(٢). كما تم تطوير طريقة لزراعة الخضر في الماء حتى يمكن إراحة الأرض في السنة السبئية. كما تم التوصل كذلك إلى أدوات كهربائية ذات مفاتيح زمنية يتم ضبطها قبل يوم السبت، بحيث تنير من تلقاء نفسها يوم السبت^(٣)، وفي كل هذا طرق مكشوفة للتحايل على تعاليم السبت عند تعارضها مع المصالح الإقتصادية.

"هذا وهناك أيام سبت لها وضع خاص متميز عن بقية الأيام مثل : "شبات حازون" وهو اليوم السابق ليوم التاسع من آب (حيث يختمون فيه رؤية اشعيا (إشعياء الأول)).

و"شبات ناحموا"، هو السبت الذى يلى التاسع من آب. و"شبات شوفاه" هو السبت الذى يقع خلال أيام التوبة العشرة. و"شبات هجادل" هو يوم السبت السابق على "الفصح"، حيث يسردون فيه قصة "الفصح"، وتطلق التسمية أيضا على السبت السابق لرأس السنة وعيد المظال^(٤) وعيد الأسابيع^(٥)،^(٦).

(١) صلاح الزرو، المرجع السابق، ص ٤٣.

(٢) رشاد عبد الله الشامي (د)، القوى الدينية، مرجع سابق، ص ٨٨.

(٣) عبد الوهاب المسيري (د)، المرجع السابق، المجلد الخامس، ص ١٤٥.

(٤) عيد المظال: يحل في الخامس عشر من شهر تشرى، ويطلق عليه أيضا "عيد الحصاد" أو "العيد الشامل"، وهو يستمر سبعة أيام، وتتعاظم الاحتفالات في اليوم الأول. (נא לעיין: זלמן אריאל، שם، עמ' 122).

(٥) عيد الأسابيع : يتم الاحتفال به في السادس من شهر سيفان، بالصلاة وقراءة نصوص التوراة المعتادة يوميا لأنه لا توجد تشريعات خاصة بعيد الأسابيع. (נא לעיין: זלמן אריאל، שם، עמ' 158، 159).

(٦) שלמה זלמן אריאל، שם، עמ' 1.

נא לעיין גם: דבורה והרב מנחם הכוהן (בעריכת)، חגים ומועדים، שבת ראש חודש، כתר، 1979، עמ' 31.

ثالث طقوس السبت :

"تبدأ احتفالات اليهود، بالسبت منذ دخوله قبل غروب شمس يوم الجمعة ببضع دقائق ويسمى بالعبرية "عيرف شبّات"، وتنتهى بخروجه عشية الأحد ويسمى بالعبرية "موتسآى شبّات"، فتشعل ربة البيت شمعتين (شموع السبت)، وتضع على المائدة رغيفين لكل وجبة من الوجبات الثلاث. والرغيفان، ذكرى للطعام الذى أرسله الإله لجماعة "يسرائيل" فى البرية، ويكونان على شكل جدائل رمزاً لإكليل العروس (إذ أن السبت يُرمز له بالعروس فى التراث القبّالي^(١)). كما تُعدُّ ربة البيت الوجبات نفسها مقدماً، لأن العمل محرّم فى ذلك اليوم. ويُعطى الطعام بالمفرش، ثم يأتى الأطفال فيباركهم الأبوان، ثم تمسك ربة البيت بكأس الخمر، وتقرأ دعاء "مقدم السبت" (قيدوش) ثم تبارك التوابل أضواء الشموع. وتُختتم الاحتفالات بقراءة دعاء "انتهاء السبت" (هافدالاه)^(٢).

والثير للدهشة، أنه فى الوقت الذى "يميل فيه الجناح اليسارى داخل "عمال المزاراحى" نحو التساهل ورحابة الصدر، من خلال إغرابهم عن استعدادهم لحلب الابقار يوم السبت! فإنهم يصرون على عدم ترك اليهودى اللامتدين يتصرف على هواه يوم السبت"^(٣).

(١) القبّالاه: يستخدم هذا المصطلح كناية عن الحكمة الباطنية والغيبيات لدى اليهود، والتي يطلق عليها "حوخا نستارا" (الحكمة الباطنية) وأيضاً تعني الـ"قبّالاه" (تصوف يهودي)، وفي التلمود أطلق اسم "قبّالاه" على أقوال الأنبياء و"التوراة الشفوية"، وفي فترة ما بعد التلمود اقتصر هذا الاسم على "التوراة الشفوية"، واعتباراً من القرن الثالث عشر فقط بدأ إطلاق هذا الاسم على الحكمة الباطنية أو "التصوفة" (مقوباليم). وقد اعتبر همقوباليم " (القباليون) أن الألوهية نور روحاني مطلق، ونسبوا الوجود لهذا المصدر الإلهي الفياض. كما اعتبروا أن روح الإنسان مقتبسة من العوالم العلوية، وأن غايتها النهائية محاولة التقرب من المصدر الإلهي وتخليص الجنس البشري من حياته المتدنية التي يجهاها. (رشاد عبد الله الشامي(د)، موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية، مرجع سابق، ص ١٢٩، ص ٢٦٠).

(٢) عبد الوهاب المسيري(د)، المرجع السابق، المجلد الخامس، ص ٢١٢.

(٣) أسعد رزوق(د)، الدولة والدين فى إسرائيل، مرجع سابق، ص ٩٣.

"وقد صدر عام ١٩٥١ قانون عرف باسم "قانون السبت"، أقره الكنيست بضغط من الأقلية الدينية، حيث أنه يمنع تشغيل العمال يوم السبت، وفي أيام الأعياد اليهودية الأخرى"^(١).

رابط من صور إبادة حرمة السبت والتعايل عليها:

برغم النهى التام عن ممارسة أى نوع من أنواع العمل، في يوم السبت، فإن هناك ظروف استثنائية، أجازت فيها الشريعة اليهودية مباشرة بعض الأعمال، في يوم السبت ومنها:

"١- عملية الختان .

٢- في حالة المرض أو الولادة. حيث يمكن استدعاء الأطباء وعمل الاسعافات"^(٢).

٣- في حالة الحريق أو وقوع منزل مما يستدعى نقل الامتعة وإنقاذ الأرواح.

٤- إذا أعلن الحاخام الأكبر بأن اليهود في خطر اعتبرت الحرب دفاعية وجاز شنها يوم السبت"^(٣).

وقبيل حرب احتلال أمريكا للعراق وتساعد المخاوف الإسرائيلية من إطلاق صواريخ سكود افدى الحاخام شموئيل زعفرانى بالتعليقات التالية بشأن حرمة يوم السبت: يجب الابقاء على جهاز راديو مفتوحا (يفضل جهاز ترانزيستور)، يمكن تركه في غرفة الملجأ في يوم الجمعة مع رفع درجة الصوت. أو وضعه داخل صندوق وفتحه عند الحاجة.

(١) منح قانون السبت في الوقت نفسه صلاحية الاستثناءات للجنة وزارية خاصة كي تبت في أمرها، وبهذا حدث بالقانون ثغرة كبيرة. (انظر : نفس المرجع، ص ٩٣).

(٢) افدى أحد كبار الحاخامات بعدم جواز استدعاء أم من تنجب هاتفا لمرافقتها، لأنه لا فائدة من وجودها، ولأنه كان من الافضل أن تبقى بجوار ابنتها في أيام السبت المحتمل فيها حدوث الولادة، أو الاكتفاء بإشارة متفق عليها، أو إرسال غير يهودي لإبلاغ الأم. (راجع : www.kipa.co.il).

(٣) راجع: رشاد عبد الله الشامي(د)، جولة في الدين والتقاليد اليهودية، مرجع سابق، ص ٧٣.

ويتسق مع ما سبق، لجوء حاخامات اليهود لسن "تشريعات إضافية، من أجل تخفيف قوة المنوعات، التي يجب على اليهودى المتدين الالتزام بها، في يوم السبت، وتتضمن هذه التسهيلات ثلاثة أنواع، يطلق عليها اسم "عيروفيم" (تعديلات الحاخامات بشأن ممنوعات يوم السبت) وهى تسهيلات لا سند لها في التوراة وهى: "عيروفى حتساروت" للتحايل على تحريم إخراج شيء من فرد لآخر. و"عيروفى تحومين" (التعديلات المتعلقة بالحدود) لمضاعفة "تحوم السبت" (الفى ذراع). و"عيروفى تيشيليني" الخاصة بالطبخ"^(١). هذا ولا يفضل بعض الحريدين "اللجوء للعيروفيم ويتحفظون على استخدامه"^(٢).

خامسا - الموقف المعاصر من قضية السبت فى إسرائيل:

"كلا المعسكرين فى إسرائيل -الدينى والعلماني- بشكل عام غير راض عن الأوضاع الحالية ليوم السبت، فبينما يعتبر المتدينون أن موقف المؤسسة الدينية الرسمية ومثيلها عاجز عن شن حرب حقيقية لفرض تعاليم يوم السبت"^(٣)، يرى العلمانيون أنهم "انتصروا انتصارات جزئية فى هذه المعركة، وأن المثال على ذلك ما حدث فى دار عرض راف هيمخال، فى بتاح تكفا، حيث استمرت فى عرض الأفلام فى أمسيات يوم السبت، لكن فى المقابل تم إغلاق أبواب دور عرض أخرى ومقامى فى أيام السبت"^(٤). فالمشكلة، حتى بغض النظر عن السياسة، تلخص فى إشكالية حق العلماني فى السفر يوم السبت، باعتبار أنه "يضر ويمس ذلك الجو الدينى العام ليوم السبت"^(٥)، وهو ما يصل لدرجة التدنيس. ومقاومة تدنيس السبت تبدأ بتعليق لافتات مكتوب عليها "لا تدنسوا السبت"، وصيحات

(١) رشاد عبد الله الشامي (د)، الوصايا العشر فى اليهودية، مرجع سابق، ص ١٨١، ١٨٢.

(٢) ديفيد لاندوا، المرجع السابق، ص ٤٢.

(٣) 'שעיהו ליבוביץ', יהדות עם יהודי ומדינת ישראל, הוצאת שוקן, ירושלים ותל אביב, 1979, עמ' 109.

(٤) ישעיהו ليفمان، المرجع السابق، ص ١٠٣.

(٥) نفس المرجع، ص ٢٦٨.

السباب، مروراً بالقاء الحجارة، وتصل لدرجة "القاء قنابل حارقة على فيلا رئيس بلدية سمح بفتح دار سينما يوم السبت"^(١). ولهذا لم يكن مستغرباً أن "نجد عدداً من سكان بنى باراك (وهي ضاحية من ضواحي تل أبيب يقطنها ١٤٠ ألف يهودى جميعهم من الأرثوذكس) يضعون الحواجز فى الشوارع عند حلول السبت، لمنع السيارات من تدنيس حرمة اليوم المقدس"^(٢). كما وجدنا أن شركة العال تُجبر على عدم العمل يوم السبت، إلا أنه فى المقابل يحاول المجتمع المدنى العلمانى فى إسرائيل أن يقاوم أو يلتف حول سيطرة المتدينين على حياة المواطنين، لذا نجد أن "هذا القرار لا ينطبق على طائرات شركة العال التى تنقل بضائع"^(٣) (!) فالشركة، على كل ما يبدو، تحاول إرضاء جميع الأطراف حماية لمصالحها الاقتصادية.

(١) مقدمة جمال أحمد الرفاعى (د)، فى: ايمانويل هيمان، الأصولية اليهودية، ترجمة سعد الطويل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨، ص ٤٧.

(٢) نفس المرجع، ص ١٠٩

(٣) نفس المرجع، ص ١٠٦.

موقف الصحافة الدينية من قضية احترام قدسية السبت

فرض السبت على الجميع :

كمظهر من مظاهر فرض الشريعة على الآخرين -الأغلبية العلمانية- تسعى القوى الدينية في إسرائيل، من خلال الصحف الدينية، للترويج لفكرة احترام الجميع لقدسية السبت في الدولة اليهودية، وتحذر دائما من وبال تجاهل هذا الأمر. وقد عبر عن هذا بشكل مباشر، مقال بصحيفة "هموديع":

"سنهب للعمل بكل الوسائل وكل القوة حتى يشعر كل صبي وطفل في تل أبيب بمذاق السبت، وحتى تسود قداسته على أول مدينة عبرية. وقد كان ذلك هو القرار الرئيسي الذي اتخذته لجنة قيادة الحملة الانتخابية من أجل السبت، والتي أقيمت في تل أبيب... ولقد خصصت منظومة الانتخابات هذه المرة - أكثر مما كان في السابق- إعلان عن " ملكية السبت" في تل أبيب. رسالة السبت الرئيسية التي ينشدها، المحافظون على "السبت المقدس"، هو أن كل يهودي، كل صبي وكل طفل في تل أبيب يستطيع أن يحظى بالشعور بمذاق "السبت الملكة" في مدينة تل أبيب"^(١).

ومن الاقتباس السابق نلاحظ، أن المحرر قد استخدم اسما من أسماء السبت هو "شبات قودش" أي (السبت المقدس)، "وهذا الأسم يدل على حتمية الانقطاع عن أي عمل في هذا اليوم، وهو يدل أيضا على الروح الخاصة المميزة لهذا اليوم، ويشير إلى مدى قداسته عند اليهود. وقد ورد هذا الاسم في كثير من المواضع في المقرء، بل وأكدت على قدسيته كل المصادر اليهودية"^(٢).

(١) סופר המודיע، המודיע، 16-10-1998، עמ' 2.

(٢) راجع: محمد الهواري (د)، المرجع السابق، ص ١١، ١٢.

كما استخدم "ملكية السبت" وهي عبارة "مشتقة من أحد أسماء السبت (شبات هملكا) أى "السبت الملكية". وتشير هذه التسمية إلى المكانة العظيمة التي يحتلها السبت في نظر المحافظين عليه، ففي تشبيه يوم السبت بالملكة، إظهار لجلال هذا اليوم وأهميته. ويبدو ذلك واضحا عندما ينتظر اليهودى مجيء السبت كل أسبوع وكأنه على موعد مع ملكة متوجة قادمة، أو كأنه يستقبل عروسا في ليلة زفافها"^(١).

ومن الاقتباس السابق، تبرز لهجة التهديد الضمنى، من خلال عبارة: "للعمل بكل الوسائل وكل القوة". كما نلاحظ أيضا أن الحديث هنا عن مدينة تل أبيب التي تقطنها أغلبية علمانية، بل هي المعقل الأول ورمز العلمانية، وليس حتى بني باراك أو أحياء المتدينين بالقدس. ونلاحظ أيضا الدعوة للتبشير بضرورة الحفاظ على السبت وجعل ذلك عادة مكتسبة لدى الأطفال، حيث يصعب بعد ذلك عندما يتقدمون في السن ويصبحون صبية وشباب جعلهم يعودون لاحضان الالتزام الدينى..

وفي نفس السياق نجد صحيفة "هموديع" تكشف لنا عن أحد الأساليب المقترحة لفرض الشريعة، حيث توجه دعوة لمقاطعة^(٢) العلمانيين ومنتجاتهم وخدماتهم، طالما أنهم ينتهكون حرمة السبت، حيث ذكرت:

"(عفوا هل أنتم تحافظون على فلسفة السبت ؟) يجب أن تكون هذه العبارة هي شعار اليهودية المؤمنة، عندما ندخل إلى محل لشراء شيء ما، علينا قبل أن نفكر في اختيار منتج ما لشرائه، وقبل أن نفكر في زيارة أو جولة للترفيه في مكان معروف أو مجهول... فإذا كانت الإجابة بالسلب علينا أن نستدير ونراجع، لأن من يقدمون السبت لا يساعدون من يندسون السبت ويدوسونه بأقدامهم"^(٣).

(١) راجع: محمد الهواري (د)، المرجع السابق، ص ١٢.

(٢) لجأت القوى السياسية إلى فكرة المقاطعة عبر التاريخ، وتشرف جامعة الدول العربية على المقاطعة لإسرائيل، وفي مقابل ذلك ضغطت قوى عالمية على الشركات الكبرى حتى تتعامل مع إسرائيل كما ضغطت على الدول العربية لرفع المقاطعة ولو تدريجيا (راجع: محمد عبد الحميد أبو زيد عبد الغني (د)، قوانين ومبادئ المقاطعة العربية لإسرائيل، جامعة الملك سعود، ١٩٩٣، ص ٢١ وما بعدها).

(٣) د. د. د. - الموديع، 7-8-1998، موسف عم' 3.

وفي ذلك تصعيد خطير، يعمق من مشاعر الكراهية المتبادلة بين المعسكرين على خلفية قضية السبت، الأمر الذي قد يؤدي في النهاية لصدام شامل، تؤججه مؤسسات ومصالح اقتصادية بحثة.

ومن الكتابات التي تدلل على سعى الصحف الدينية لتدعيم الاتجاه الرامي لفرض الشريعة على الجميع مع التطبيق على يوم السبت، ما ورد في صحيفة "هتسوفيه" تحت عنوان "خبث علماني":

"يقيم كيبوتس "سرعا"، الواقع في اوتوستراد القدس، حفلات رقص في ليالي السبت داخل قاعة تستخدم أيضا كصاله أفراس. برنامج حفلات الرقص يتم تحت اسم "ليالي كنعان"، لذا عندما طلب من الحاخام "ى. هريشيل" حاخام تجمعات "ماطيه يهودا" السكنية الحضور لعقد قران في هذه القاعة، أكد أنه لا يستطيع كحاخام عقد قران في قاعة تستخدم أيضا في تدنيس السبت بشكل علني. العريس وعروسه اللذان تجهزا للزواج، طلبا من الكيبوتس أن يحل المشكلة وإلا سيضطران لنقل حفل الزفاف لقاعة أخرى.

وقد أدرك "الكيبوتس" أن المشكلة ليست مجرد عريس وعروسه، بل إن الأمر يتعلق بعمرسان كثيرون يؤجرون القاعة ويدفعون "للكيبوتس" رسوما مالية كبيرة، لذا قرر "الكيبوتس"، أن يبلغ الحاخام بموافقه على طلبه بعدم إقامة برنامج حفلات الرقص في هذه القاعة أيام السبت، واتهمت وسائل الإعلام العلمانية، "الكيبوتس" "بالاستسلام" لطلبات الحاخام.

ولم تنتهي القصة عند هذا الحد، فالكيبوتس تعامل بخبث مع الحاخامية. لقد تم نقل الحفلات الراقصة في ليالي السبت إلى قاعة أخرى، ودعا "الكيبوتس" كل الراقصين، للرقص في ليالي السبت في قاعة بديلة. إنه الخبث على الطريقة العلمانية"^(١).

(١) "התחכמות חילונית"، הצופה، 27-2-1997، עמ' 3.

ومن الاقتباس السابق يتضح لنا أن القضية: هي تدنيس حرمة السبت من قبل مجموعة من الشباب العلماني. وقد لجأت الصحيفة لإبراز القضية بعنوان لافت للانتباه، وسردت الأحداث بشكل درامي مؤثر، مع التلويح بأن القضية ليست مجرد حادث فردى لعريس وعروسه، بل هي موقف وظاهرة، مع الحرص على التحريض ضد وسائل الإعلام العلمانية.

وتمثل الحل من وجهة نظر الصحيفة في الضغط الاقتصادي على أصحاب المكان، والتلويح بمقاطعة المكان، والامتناع عن إقامة حفلات زفاف به تدر دخلا كبيرا على "الكيبوتس". والغريب أن الحملة لم تتوقف كما أن التحريض ضد المكان لم يتوقف هو الآخر، رغم الالتزام بعدم استخدام القاعة لتدنيس حرمة السبت - كحل وسط ارتضاه المتدينون- وزعموا أنه من غير المقبول أن يمارس العلمانيون تدنيس السبت في قاعة مجاورة. بمعنى أن الحل الأمثل -لو أمكن- هو فرض الالتزام بحرمة السبت على العلمانيين أيضا.

وعلى نفس المنوال، ذكرت صحيفة "هتسوفيه" في مقالها الافتتاحي، الذي حمل عنوان "تدنيس السبت لن يصلح "العال":

"إن شركة الطيران الوطنية "العال" تقف أمام مفترق طرق بين ديون وخطط للخصخصة. وهناك لجنة خاصة فحصت الموقف وهي على وشك أن تقدم توصياتها يوم الأحد القادم. من بين التوصيات يبرز أمامنا اقتراح بإتاحة الفرصة للعالم للقيام برحلات منتظمة لمدة سبعة أيام في الأسبوع، بما يعنى تدنيس سبت إسرائيل.

وليس هذه هي المرة الأولى التي يتم فيها طرح اقتراحات على هذا النحو. ولم يبق إلا أن نأمل، أنه في هذه المرة أيضا سيتم استبعاد الاقتراح، حيث سبق وثبت أنه لا علاقة بين احترام السبت وبين الديون التي زادت في السنوات الأخيرة"^(١).

(١) "חלולי שבת לא יבריא את אל-על"، הצופה، 30 - 5 - 1997، עמ' 3.

يتبين لنا من الاقتباس السابق أن صحيفة هتسوفيه المعبرة عن مواقف الصهيونية الدينية وممثلها الحزبي الوحيد (المفدال) استبقت قرار لجنة إنقاذ شركة العال، بمحاولات لممارسة ضغوط، لسد الطريق أمام أى اقتراح يؤدى فى النهاية لعمل الشركة يوم السبت، رغم أن الجدوى الاقتصادية فى هذا المجال يحددها خبراء الاقتصاد والسياحة والنقل، وليس رجال الدين، بالإضافة إلى أن هذا يمثل فرضاً للسبت على الجميع.

وفى نفس الاتجاه زُفَت الصحافة الدينية لقرائها خبر نجاح أعضاء كنيسة فى الضغط على وزارة الصحة لتنفيذ إجراءات جديدة لعدم انتهاك حرمة السبت، وبدأ الأمر وكأنه انتصار فى جولة هامة فى صراع طويل. فقد ذكرت "هموديع" تحت عنوان "تحميد إجراء جديد لإخلاء الموتى من المستشفيات فى أيام السبت والأعياد":

"أعد فرع أمراض الشيخوخة فى وزارة الصحة إجراء جديداً لإخلاء المتوفين من المستشفيات فى أيام السبت والأعياد، فى استجابة لطلب عضو الكنيسة الحاخام مثير بروش لوزير الصحة. جاء هذا التوجه جاء فى أعقاب واقعة مؤسفة، اضطرت فيها أسرة لنقل فقيدتها الذى توفى فى المستشفى مساء يوم الجمعة، وتسبب ذلك فى تدنيس حرمة السبت بواسطة سائق سيارة إسعاف يهودى.

وقبل طلب الحاخام "بروش" لم يكن هناك إجراء محدد لمثل هذه الحالات، ومن الآن تم ابلاغ أمر واضح من وزارة الصحة لكل مديرى المستشفيات بالابقاء على المتوفين فى غرف أعدت لهذا الغرض موجودة داخل أسوار المؤسسة.

وقد تحدد أيضاً فى الاجراء الجديد أنه لا يجب نقل المتوفين للغرفة المخصصة لهذا خارج المستشفى فى أيام السبت والاعیاد، وأنه يجب على كل المؤسسات التى تحتجز المرضى للعلاج وليس بها غرفة موتى مخصصة

لتخزين جثث أن تعد غرفة كتلك، لحفظ الجثث في أيام السبت والأعياد" (١).

ويتسق مع التشدد السابق زعم المتدينين، بأن عدم احترام السبت يجلب مشاكل وكوارث فظيعة، حيث "أرجع الحاخام إسحق بيرتس" (٢) -في حديث تليفزيوني- مقتل ٢٢ طفلا في حادث مروري عام ١٩٨٥ لدار سينما سُمح لها بالبقاء مفتوحة في مساء السبت" (٣).

وتعبيرا عن التطرف في هذه القضية، نشرت "هموديع" مقالا يؤكد هذا الاتجاه بشكل مباشر يؤكد الإصرار على فرض شريعة يوم السبت على العلمانيين، خاصة رجال السياسة منهم، فقد نشرت :

"إن تقديس السبت، قبل كل شيء، لا يجري في متجع الضيافة
الدبلوماسي الخاص بأمريكا في "واي بلانتشين"، وبالتأكيد يجب علينا
أن نبدي أسفنا، ونحسنا على إقامة مباحثات سياسية بين يهود وأغبار في
يوم السبت في حد ذاته... ماذا يفعل اليهود الإسرائيليون في يوم الراحة
جماعة ونسج واحد مع الذين يؤمنون بالمسيحية والإسلام؟ ... هل
سيعبر المسيحيون والمسلمون عن تقدير زائد واحترام خاص لليهود
الذين يستهينون بيهوديتهم. وربما -وهذه هي المشكلة- أنه، بشكل
خاص، لهذا السبب سيستخفون بهؤلاء اليهود...إننا نؤمن إيماننا مطلقا
بأننا سنحصل على أرض آبائنا من اليد السخية لخالق الكون، وليس من
أيدي صغار تجار السياسة من داخل إسرائيل وخارجها. إننا نؤمن بأنه في
اليوم المعهود، في اليوم العظيم والمخيف، عندما يعود قلب الآباء على

(١) "נקבע נוהל חדש בבתי חולים לפינוי נפטרם בשבת ובחגים"، המודיע، 19 - 7 - 2000،
למ'2.

(٢) الحاخام إسحق بيرتس: هو أحد زعماء حزب "شاس"، وتولى بعد هذا التصريح بفترة منصب وزير
الداخلية.

(٣) إسرائيل شاحاك، المرجع السابق، ص ٧٣.

الأبناء، وقلب الأبناء على آبائهم، سنحصل على كل إرث آبائنا، حصولا كاملا ولأبد، وإن كل اتفاقيات السلام ستمحق" (١).

ومن الاقتباس السابق يتضح لنا أن الصحيفة تؤكد على أن المصلحة السياسية ستتحقق بالالتزام بالشرعية، وليس بتكثيف الجهود الدبلوماسية وبطاوله المفاوضات وبممارسة الضغوط، لأن خالق الكون لو أراد؛ لمنح كل شيء لليهود، لذا فإن الالتزام بالشرعية والحفاظ على السبب هو الطريق للحصول على الأبد على "أرض الأجداد"، وفي هذا ربط واضح بين الديني والسياسي، استخدمت فيه الصحيفة أسلوب السخرية والتوبيخ لباراك العلماني الذي لم يحافظ على حرمة السبب أمام المسيحيين والمسلمين.

ويعضد القول بسعي الصحف الدينية لفرض شريعة السبب وإحراج الساسة وابتزازهم انطلاقا من هذا المحور توجيه صحيفة "هتسوفيه"، انتقادات حادة لباراك، لانتهاكه حرمة السبب، وتحت عنوان "بوروش: باراك يدنس حرمة السبب ويطأ الشرف اليهودي"، ذكرت الصحيفة:

"قال نائب وزير البناء والاسكان "مئير بوروش" مساء السبت في القدس: "لقد دنس ايهود باراك السبب علنا، ووطأ الشرف اليهودي أمام رجال دين مسيحيين ومسلمين". وأعلن أن باراك لن يحصل ولو على صوت واحد من بين المواطنين الذين يعتبرون أنفسهم تقليديين، أو متدينين، أو حريديم.

كان بوروش يتحدث عن زيارة قام بها يوم السبت رئيس حزب العمل ايهود باراك على رأس وفد مرافق، من أعضاء الكنيست لرجال دين بارزين مسيحيين ومسلمين، بمناسبة عيد الميلاد، وشهر رمضان" (٢).

(١) יצחק מתתיהו טנגבוים، המודיע، 16-10-1998، עמ' 3.

(٢) מוטי זפט، "פורוש: ברק מחلل שבת ורומס את הכבוד היהודי"، הצופה، 27 - 12-1998، עמ' 3.

وفي المقابل، نجد الصحف الدينية، تتعامل بتحفظ على احتجاج العلمانيين على سعى المتدينين لفرض شريعة السبت على الجميع ومن الأمثلة على ذلك الخبر المقتضب بصحيفة هتسوفيه تحت عنوان: علمانيون يتظاهرون أمام مقهى "أروما" في القدس. حيث ذكرت:

"تظاهر نحو مائة من الشباب العلماني أعضاء جمعية "عم حوفشي" (شعب حر) وحركة "يروشاليم عخشاف" (القدس الآن) في ظهر يوم السبت أمام مقهى "أروما" في "موشافا هجرمانيت" في القدس مطالبين بالابقاء على المقهى مفتوحاً أيام السبت"^(١).

لقد سجلت الشرطة عام ١٩٥٠ عشر تظاهرات من أجل السبت (قام بها متدينون داعين لحفظ السبت) وفي عام ١٩٥٤ سُجلت خمس عشرة مظاهرة، وتسع عشر مظاهرة عام ١٩٥٦، ادت إحداها إلى تشكيل لجنة تحقيق رسمية، لأن أحد المتظاهرين قُتل. وتحلل هذه المظاهرات إساءات متعددة إلى العلمانيين مثل: البصق في الوجوه، والرشق بالحجارة، ونثر الزجاج على الأرض، وتسلق شرفات البيوت وتحطيم زجاجها وإلقائه إلى الشارع، كما سجلت شهادات طيبة عن أشخاص عُضت أيديهم وآذانهم، ومزقت سترات بعضهم بسبب العراك بالأيدي بين الفريقين، ووصل الأمر إلى حد الإساءة إلى قناصل وأعضاء الأمم المتحدة.

ومع مرور الأيام، أصبحت حماية السبت عادة شبه منتظمة عند المتدينين، وخصوصاً في الأحياء الدينية، حيث "دأبوا على الاعتداء على السيارات التي تشاهد متنقلة يوم السبت، وكان من المشاهد المألوفة رؤية أحد المتدينين، وقد حمل حاجزا من الأسلاك الشائكة، ووضعه في الطريق العام، وجلس أمامه أو خلفه ليمنع حركة المرور، كما شكل المتدينون أيضاً منظمة (المنبهون ليوم القدس)، كما شكل مركز قطري تابع لوزارة الأديان تحت اسم (المجلس العام من أجل السبت)"^(٢).

(١) "חילוניים הפגינו מול קפה ארומה בירושלים"، הצופה، 27-12-1998، עמ' 2.

(٢) صلاح الزرو، المرجع السابق، ص ٤٥٠، ٤٥١.

الابتزاز والضغط على رجال السياسة من أجل تجاوز "الاستاتوس كو" عبرت عنها أيضا صحيفة "هموديع" تحت عنوان "السبت يصرخ: النجدة"، فذكرت:

"السبت ينزف دما، ويعانى وعدد غير قليل من اليهود لا يلبون النداء. السبت يتوسل حتى لا يقتلوه، وفي المقابل يقف يهود في لا مبالاه وعدم اكتراث. السبت تطاه الأقدام ويهان، ويصرخ انقذوني! وهناك يهود يمر النداء بجوار آذانهم ولا يهز مشاعرهم.

لقد تكررت في الآونة الأخيرة بشكل كبير محاولات هدم سياج السبت، وتغيير الوضع الراهن، الذى كان متبعا لسنوات في الدولة، وفرض الطابع العلماني علينا في يوم السبت كبقية أيام الأسبوع. التآكل وزعزعة التقاليد أصبحت طابعا توغل في كل مجالات الحياة. فبدأ بالترفيه وبالمواصلات، ومن هناك انتقل للتجارة وللصناعة وبقية المجالات. لم تعد المشكلة قضية السبت فقط، الذى انهارت قدسيته، لكنها تحولت بشكل مواز أيضا لمشكلة قاسية تتمثل في سلب الرزق من عشرات الآلاف من اليهود المحافظين على التوراة والوصايا، الذين بالطبع لم يستطيعوا الاندماج في أى مكان عمل يتم فيه تدنيس السبت. وكلما ازدادت ثغرة تدنيس السبت في التجارة والصناعة بالاضافة للخزى والعار الكبيرين، كلما أضررت أيضا حقوق يهود يوترون ويجلون السبت"^(١).

وفي المقابل هناك مساعى دائمة للتطور مع العصر والتجاوز عن بعض أوجه التشدد تجاه من يقدسون حرمة السبت، وتعبّر عن هذا فتوى منشورة بصحيفة "هموديع" تحت عنوان "السبت واستخدام المياه رغم أنها تحصى بواسطة عداد":

"الإجابة نعم مباح استخدام المياه من الصنبور يوم السبت، رغم أن المياه تحصى بواسطة عداد. الإحصاء محظور يوم السبت، وعلى الرغم من هذا مسموح باستخدام المياه يوم السبت عن طريق الصنبور، على الرغم من أن

(١) منחם קולגמן, "השבת זועקת: גוואלד!", המודיע, 14-1-2000, עמ' 4.

المياه تحصى. وفي "شولحان عاروخ"^(١) فتوى تقول: مسموح بالقول لصديق: إملأ لي هذا الإناء حتى ولو كان مخصصا للقياس"^(٢).

وهنا نلاحظ أن هناك تساهلا، لأن بعض الحريديم يرفضون استخدام الطاقة الكهربائية في يوم السبت، حيث أنها تولد من قبل يهود يقومون بخرق مبادئ الهلاخاه. ويقومون بدلا من ذلك باستخدام أدوات تعمل بالغاز أو البطاريات. وبعضهم، بناء على ما سبق، "لا يستخدم حتى المياه الجارية يوم السبت، لأن ضخها يتم بالطاقة الكهربائية، وهم يقومون بملأ بعض الدلاء بالماء قبل يوم السبت"^(٣).

ومن طرق التحايل على قوانين الشريعة بالنسبة لحزمة يوم السبت: أولا التلميح، وكقاعدة عامة يجب أن يكون التلميح "مبهما"، أما في حالات الرغبة الملحة فيسمح بالتلميح "الصريح". على سبيل المثال، "في كراس ديني حديث موجهة لجنود الجيش الإسرائيلي، يتم تلقين الجنود كيف يخاطبون العمال العرب الذين يستخدمهم الجيش، يوم السبت كأغيار، في الحالات الملحة، مثلا، عندما يكون الجو باردا جدا ويجب إشعال النار، أو عندما يصبح إشعال الأضواء ضروريا لأداء الواجبات الدينية، يستطيع الجندي المتدين استخدام تلميح "صريح" فيقول للعربي: "الجو بارد (أو مظلم) هنا" وعادة ما يكفي التلميح "المبهم" مثل: "سيكون الجو أفضل هنا لو أصبح أكثر دفئا". والعربي الذي لا يمرن نفسه على تفسير "التلميحات الغامضة" كأوامر، سيطرد من عمله بلا شفقة"^(٤). ومن الأمثلة أيضا استخدام "مساعد السبت التي يتم ضبطها مسبقا لتقف في كل دور أو كل دورين، دون الاضطرار لضغط مفاتيح المصعد. أو وضع بعض العواميد، والأسلاك في الميادين العامة، لتحويلها بصورة رمزية مؤقتة لميدان خاص، يتم فيه السماح بحمل أشياء،

(١) "شولحان عاروخ": كتاب جمع فيه الراي يوسف كارو جميع الشرائع والأحكام والفتاوى والتفريعات الواردة في المشنا والتلمود. وهو المعتمد عند المتشدد من اليهود. (انظر: حسن ظا(د)، المرجع السابق، ص ٣١٥).

(٢) "מידה בשבת"، המודיע، ١٩-٧-٢٠٠٠، תוספת، עמ' ٧.

(٣) ديفيد لاندאו، المرجع السابق، ص ٤٢.

(٤) إسرائيل شاحاك، المرجع السابق، ص ٧٦.

واستخدام الهواتف داخله"^(١). وفي كل هذا التفاف على تطبيق الشريعة يتناقض مع السعى القوي لفرضها على الآخرين.

وهكذا نجد أن الأصوليين اليهود حولوا يوم الراحة (السبت) إلى مجموعة ضخمة من النصوص تحتوى ما يجب فعله وما لا يجب فعله. وتجدر الإشارة إلى أن المدنية الحديثة ألقت بظلالها وتعقيدات على حرمة السبت مما يستوجب إصدار فتاوى جديدة دائماً لتواكب إيقاع الحياة الجديد ومن الأمثلة على ذلك: هل استخدام ورق التواليت يوم السبت حلال أم حرام؟ هل الرد على يهودى يقود سيارته ويسأل عن مكان معين حلال أم حرام؟ هل استخدام ساعة ديجيتال (رقمية) يوم السبت حلال أم حرام؟^(٢)

كما تطرح أسئلة أخرى على غرار: نسيت أن أغلق التليفون المحمول الخاص بى يوم السبت، وتلقت خلاله رسالة فكيف اتصرف فيها؟^(٣)

ويتضح من كل ما سبق أن :

الصحافة الدينية المعبرة عن القوى الدينية فى إسرائيل تسعى بكل قوة، وبكافة الوسائل لفرض شريعة السبت على الجميع فى إسرائيل وأن أساليبها فى ذلك تبدأ من الضغط والابتزاز السياسى وتنتهى بتشجيع أعمال العنف. مما ينجم عنه بالضرورة ردود أفعال من قبل العلمانيين، فتحدث توترات عُرضة للانفجار فى أى وقت. خاصة وأن المتدينين يصرون على فرض عدم تدنيس حرمة السبت فى تل أبيب معقل العلمانيين، بل وحتى فى المدن المشتركة التى يعيش فيها سكان من فلسطينى الـ ٤٨ .

(١) ديفيد لاندوا، المرجع السابق، ص ٤١، ٤٢.

(٢) افتى الحاخام شموئيل زعفرانى بأن الحالات الثلاث "حرام" وتمثل انتهاكا لحرمة السبت ونصح بالنسبة للسؤال الثانى بوضع بلاستر على أضرار الساعة حتى لا يتم الضغط عليها سهواً، وبالنسبة للسؤال الثالث، نصح بعدم الرد أو الرد : بلا أعرف. (انظر: www.kipa.co.il)

(٣) يتم فتحها وقراءتها بعد انتهاء يوم السبت . (انظر: www.kipa.co.il)

المبحث الثاني

موقف الصحافة الدينية في إسرائيل من قضية

تجنيد طلبة المعاهد الدينية والفتيات

تمهيد:

يحدد القانون الإسرائيلي، أنه ما أن يصل الإسرائيلي لسن الثامنة عشرة حتى يكون مطالبا بأن يؤدي الخدمة العسكرية الإلزامية لمدة ثلاث سنوات. وهناك من يسعى لقضائها في وحدة قتالية، وهناك من يسعى للحصول على وظيفة مكتبية أو في وحدة مساندة، وفي نفس الوقت يكون مطالبا بقضاء شهر كل عام بناء على استدعاء لقوات الاحتياط وذلك حتى يصل إلى عتبة الخمسينيات من عمره، الفتيات يتجندن لمدة عامين.

ونظام التجنيد في إسرائيل "إلزامي، ولولاه لما كان قسم كبير من الشباب الإسرائيلي قد خدم في الجيش. فقد اعترف ٢٢٪ من الشباب الإسرائيلي، في أعمار ما بين ١٦ : ١٨ عاما، بأنهم ما كانوا يخدمون في الجيش الإسرائيلي، لولا قانون التجنيد الإجباري^(١). إلا أنه في المقابل يؤجل "الحريديم" الخدمة العسكرية بناء على قانون يبيح لهم ذلك لكونهم طلبة في مدارس التوراة. حيث يمكنهم "التأجيل باستمرار حتى يتجاوزون سن التجنيد أو يؤدّون خدمة مختصرة من شهرين إلى أربعة أشهر، في وحدة غير مقاتلة"^(٢). "وتبدأ عملية التأجيل، حين يحضر الطالب المتدين إلى

(١) "بدون قانون تجنيد اجباري ما كان ٢٢٪ من الشباب ليعلموا في الجيش"، معاريف، ١٧ - ٢ - ١٩٩٦.

(٢) ديفيد لاندوا، المرجع السابق، ص ١٨٦.

مكتب التجنيد الإجبارى، عند بلوغه سن التجنيد الاجبارية، من أجل الفحص الطبى، حيث يقدم الطالب وثيقة موقعة من مدير المدرسة الدينية (اليشيفا) التى يدرس فيها هذا الطالب، وتثبت الوثيقة انتماؤه لهذه المدرسة، كما يقدم وثيقة أخرى من لجنة مختصة تسمى (لجنة مدارس أرض إسرائيل) (يشيفوت إريتس إسرائيل)... ويمنح الطالب تأجيلا لخدمته العسكرية لمدة عام، يتم تجديده سنويا^(١). وتعلق هذه المسألة بحجة تقليدية يستند إليها الربانيون المتدينون إلى درجة المغالاة فى التدين. وهى الحجة القائلة بصعوبة الجمع بين "اليشيفا" والخدمة العسكرية، لأنها يقفان على طرفي النقيض. فالطالب فى أكاديمية التلمود (اليشيفا) يعامل كعضو فى كلية لاهوتية أو كمرشح للدخول فى سلك الحاخامية، مما يكفل إعفائه من التجنيد الإلزامى أو تأدية الخدمة العسكرية، لذا اعتمد الجيش الإسرائيلى منذ تأسيسه على المجندين العلمانيين الذين يشكلون حوالى ٨٠ ٪ من مجموع عدد السكان، وذلك فى إطار التجنيد الإلزامى الذى يخضع له كل شاب وشابة غير متزوجة، ثم يتحول هؤلاء بعد انقضاء فترة تجنيدهم إلى وحدات الاحتياط إلى أن يصل عمرهم إلى الخامسة والخمسين. "أما التيار الدينى فقد منح أبناءه حق الإعفاء من الخدمة العسكرية إذا تفرغوا للدراسات الدينية فى المدارس والمعاهد الدينية، والمعاهد الدينية العسكرية (يشيفوت هاهسدير)"^(٢). هذا وقد تبنى فكرة تجنيد شباب "الحريديم" بعض الحاخامات "الحريديم" أنفسهم، واهتم رئيس الوزراء الإسرائيلى السابق بنيامين نتنياهو بهذا الموضوع، و"اقترح تشكيل لجنة لبحثه، لولا اعتراض طائفة "أجودات إسرائيل" مما دفع نتنياهو إلى سحب اقتراحه، وبالتالي أصبحت اللجنة المقترحة لا وجود لها. قد جرت اتصالات ومشاورات بين عدد من الساسة فى إسرائيل من أجل إقامة جيب من "الحريديم" داخل صفوف الجيش الإسرائيلى من بين غير القادرين على الدراسة، لتأدية خدمة

(١) صلاح الزرو، المرجع السابق، ص ٤٥٨، ٤٥٩.

(٢) محمد محمود أبو غدیر (د)، المرجع السابق، ص ٦٥.

جزئية رمزية، يمكن أن ينهيا في أى وقت، على أن يكون خاضعا لسلطة
الحاخامات، على غرار الجنود المتدينين العاديين الذين يدرسون التوراة في نطاق
خدمتهم العسكرية لكن بشكل أقل^(١). وهم من يتمون لعناصر تصنف نفسها
على أنها "حريدية قومية".

وهناك من يرى ضرورة تجنيد طلاب المعاهد الدينية اليهودية على اعتبار أن
"الامتناع عن هذا يثير حفيظة وغضب الآخرين، الذين يعتبرون عدم اداء الخدمة
تمزيقا لوحدة المجتمع وقنبلة اجتماعية موقوتة. خاصة وأن "الحريديم" يمثلون ١٠٪
من إجمالى عدد اليهود في إسرائيل، مما يعنى زيادة أعباء خدمة الاحتياط على بقية
السكان"^(٢). وفي هذا تخفيف لعبء كبير يتحمله كاهل العلمانيين حيث أن "إقامة
كتيبة أخرى من "الحريديم" تعنى توفير استدعاء ١٢ كتيبة احتياط في العام، لذا فإن
فرض التجنيد الإجبارى على كل "الحريديم"، سوف يقابل بترحاب من الجمهور
العلمانى، الذى لم يعد مستعدا أن يرى أبناءه يُجرحون ويقتلون بينما أبناء الحريديم
يضحكون عليهم من داخل المدارس والمعاهد الدينية"^(٣). وبالطبع، فإن الغضبة
العلمانية من شأنها أن تتفاقم عندما يعلمون أن عمداء "اليشيفوت" يرفضون حتى
تسليم البيانات الأولية للطلبة للاستعانة بهم في حالة وقوع كوارث قومية. فهم
يؤمنون بأن الشباب "الحريدى" يلتحق بمدارس "اليشيفا" للتحايل على قانون
الخدمة العسكرية، مدعين أنهم يدخلون خدمة أكثر مشقة، بينما قسم منهم في الواقع
يقلد الفتيات اللاتى يدعين الزواج للتهرب من التجنيد أو يدعين التدين بما لا
يسمح بتجنيدهن.

وهذه قضايا تشكل نوعا من الاحتقان في المجتمع الإسرائيلي وهو ما عبر عنه
مقال نشر في هاآرتس جاء فيه: "يقوم الجيش الإسرائيلي باعفاء نساء متدينات

(١) راجع: محمد خليفة حسن(د)، البعد الديني للصراع العربي الإسرائيلي، مركز الدراسات الشرقية
جامعة القاهرة، سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية، العدد ٨، ١٩٩٩، ص ٤٦.

(٢) نفس المرجع، ص ٥٠، ٥٢.

(٣) נחמיה שטרסלר، "סכוי למרי אזרחי"، הארץ، 24-5-2002.

بالجملة، ويسمح لجزء منهم بعدم القيام بالخدمة الوطنية، وأما النساء العلمانيات اللاتي بحاجة إلى تلك الحماية وعلى استعداد لأن يجندن في الخدمة الوطنية، يتم إرسالهن إلى السجن. هذه عنصرية تثير الغضب. ينبغي وضع حد لها وإطلاق سراح النساء من السجن والسماح لهن بالتجنيد في الخدمة الوطنية البديلة، بالفعل مثل المرأة المتدينة التي تريد ذلك. في المستقبل، وينبغي أيضا بحث السماح للرجال المسلمين بالتجنيد للخدمة الوطنية البديلة^(١).

ويذكر في هذا الإطار "أن هناك ستين بالمائة من الفتيات فقط مدرجات في الخدمة العسكرية، فقسم من المتبقيات يرفعن دعوى قضائية أمام محكمة دينية لتأييد أن عقيدتهن الدينية تمنعهن من أداء الخدمة العسكرية، وهناك سنويا أكثر من ثلاثة آلاف فتاة يرفعن الدعوى القضائية وينتسبن لشبكة المتطوعين الأصوليين، ويخدمن سنة أو سنتين كمدرسات، في حين تنضم الفتيات الأصوليات الصهيونيات للجيش كمجندات في كيبوتسات الحزب الديني القومي"^(٢). أى أن الغالبية تهرب من أداء الخدمة بعكس الفتيات العلمانيات اللاتي لا يجندن مفرا من التجنيد. مما يخلق نوعا من التوتر المنطقي بين المعسكرين.

وإزاء غضب الأغلبية من عدم تجنيد الحريديم "حاول نائب وزير الدفاع في حكومة نتياهو "سيلفان شالوم" التوصل لصيغة تجميلية تقى الحكومة من غضب الحريديم والعلمانيين والقوميين على السواء، لكنه فشل. ومن بعده حاول البروفيسور المتدين "مناحم فريدمان" وهو من رموز حزب "المفدال"، والأستاذ في قسم الاجتماع بجامعة بر إيلان الدينية، فاقترح تشكيل جيش إضافي إلى جانب الجيش الحالي، ويتكون من "الحريديم" فقط ويكون مغلقا على جنوده الحريديم، أى يكون مختلفا عن ظروف تجنيد شباب المعاهد الدينية (يشيفوت هاهسدير). لكن مقدم الاقتراح نفسه اعترف منذ البداية بأن اقتراحه غير قابل للتطبيق على أرض

(١) آممنون روبنشتاين، "צה"ל מעניש רק חילוניות"، הארץ، 23 - 3 - 2004.

(٢) ديفيد لاندوا، الأصولية اليهودية، مرجع سابق، ص ١٩٧.

الواقع"^(١). ويبدو أن المحاولة كانت نوعاً من الاستهلاك المحلي الساعى لتفريغ شحنات الغضب ضد المتدينين.

وعلى الجانب الآخر هناك من يعترض بشدة على تجنيد المتدينين وحيثيات أنصار هذا الاتجاه هي:

- ١- الخوف من حدوث تيارات انفصالية داخل الجيش الإسرائيلي.
- ٢- عدم التزام "الحريديم" بالسلطة القانونية، وميلهم للعداونية"^(٢).
- ٣- تعميق الجيش للهوة بين العلمانيين والمتدينين الذين يخدمون به.
- ٤- تزايد القلق من الدور المتزايد للجنود المتمين للتيار الدينى القومى.
- ٥- التخوف من موقفهم فى حالة صدور أوامر بالإنسحاب من مناطق يعتبرونها أرضاً مقدسة.
- ٦- "مطالبتهم بمعاملة خاصة داخل الجيش وهو ما يظهر فى إنشاء وحدات خاصة لهم وطريقة أدائهم ليمين القسم بشكل مختلف عن قسم الجيش. وهى الأمور التى ستستع وتنعكس على المدى البعيد على الحياة المدنية بعد الجيش"^(٣).
- ٧- التزام المتدينين بفتاوى من شأنها الإضرار بصُلب العمليات العسكرية مثل الفتوى التى صدرت من الحاخام عوفاديا يوسف بحظر إخلاء القتلى أو المصابين يوم السبت.

وقد شهدت المعركة الانتخابية فى عام ١٩٩٢ مطالبة أحزاب "ميريتس" و"تسومت" و"المقدال" وعضو الكنيست (عن حزب العمل) افراهام بورج، بتجنيد شباب "الحريديم" فاقترح "المقدال"، أن يتم إعفاء ٢٠٠ تلميذ فقط من

(١) محمد محمود أبو غدیر (د)، المرجع السابق، ص ٨٨، ٨٧.

(٢) محمد خليفة حسن (د)، البعد الدينى للصراع العربى الإسرائيلى، مرجع سابق، ص ٤٩، ٥٠.

(٣) راجع: ستیوارت أ. كوهين، الجيش والمجتمع الإسرائيلى رؤية جديدة، مركز بيجين - السادات للدراسات الاستراتيجية، جامعة بار إيلان، دراسات فى أمن الشرق الأوسط رقم ٤٦ - إبريل ٢٠٠١، عرض مختارات إسرائيلية، مؤسسة الأهرام، عدد يونيو ٢٠٠٢، ص ٩٧.

تلاميذ المعاهد الدينية كل عام، وتفرض الخدمة الكلية أو الجزئية على الباقين، واقترح حزب "تسومت" حرمان الذين لا يؤدون الخدمة في الجيش أو الخدمة الوطنية من حق المشاركة في الانتخابات، وحجب حق الترشيح عنهم. وهنا "شكل رئيس الوزراء لجنة لم تقرر أى تعديل على الأوضاع السائدة بعد أن اعتبرت أن الجيش غير راغب في ضم "الحريديم" لعدم إطاعتهم للأوامر. وقبيل انتخابات ١٩٩٩ تقدم زعيم المعارضة "إيهود باراك" بمشروع قانون للكنيست لتجنيد "الحريديم"، لكن الكنيست رفض الاقتراح. وعندما وصل باراك للحكم لم يعاود المحاولة"^(١) (!) ويبدو أنه تذكر الاعتراضات السابقة لمثل هذا الاتجاه والتبعات التي ستنتج عنه وتترتب عليه. فقد سبق للحاخام "شاخ" أن قال عام ١٩٨٨: "لو صدر قرار بتجنيد طلبة "اليشيفوت" لن يبقى طالب واحد من المدارس الدينية في هذا البلد، وبدون التوراة لن تكون هناك أمة يهودية"^(٢). وهو الموقف الذي يتسق حتى مع الموقف الحالي تجاه هذه القضية من قبل قطاعات مؤثرة في جماهير متدينة فقد أهدر الحاخام عوفاديا يوسف دم كل من ينادى بتجنيد طلبة "اليشيفا"، حيث وصف زعيم "شاس" أعضاء حزب "المفدال"، وأولئك الذين يؤيدون فكرة تجنيد طلبة "اليشيفا" "بأنهم متفسخون ومباح قتلهم"^(٣) كما قال الحاخام: "إن هؤلاء الطلبة هم مصدر الحياة في العالم بأسره"، وطبقاً لكلامه: "لولا التوراة ودارسيها لدمر العالم". وهاجم الزعيم الروحي لحركة "شاس" الخدمة في الجيش الإسرائيلي وقال عن دارسى التوراة: "يترك كل هذا ويذهب للجيش؟! ماذا يفعل في الجيش؟ إن من يفكر في هذا هو رجل ساءت أفكاره، حتى ولو كان يصلى واضعاً "التفلين" فمن الذى يحتاج لصلاته؟ إن لديهم آراء غريبة، تعبر عن الكفر"^(٤). فالزعيم

(١) محمد محمود أبو غدیر (د)، المرجع السابق، ص ٨٦، ٨٥.

(٢) ديفيد لاندوا، المرجع السابق، ص ١٨٨.

(٣) "الحاخام عوفاديا يوسف يهدر دم كل من ينادي بتجنيد طلبة "اليشيفا" www.news.israel.net ٣

٢٠٠٣-٩-

(٤) نفس المرجع.

الروحي لحزب "شاس" يكفر كل من ينادى بتجنيد طلبة المعاهد الدينية، بل ويهدر دم من يخططون لذلك.

أما بشأن الفتيات المتدينات فقد صدر حظر يمنع دخولهن الجيش الإسرائيلي وأداء الخدمة العسكرية. ففي "عام ١٩٥١ أصدرت الحاخامية الكبرى فتوى دينية تحرم دخول الفتيات المتدينات الجيش باعتبار أن الجيش لا يعتبر المكان المناسب للفتاة المتدينة المحتشمة الفاضلة، وأن خدمة الدولة تتم من خلال الخدمة الوطنية غير العسكرية، وقد نظر إلى بعض الفتيات اللاتي قررن ارتداء الزي العسكري على أنهن انتهكن الحرمات وخرجن على القواعد الاجتماعية المسلم بها"^(١).

ومن مظاهر تفاقم الخلافات بين المتدينين والعلمانيين حول قضية تجنيد الفتيات بشكل خاص "استقالة الراي ليفين الوزير في الحكومة المؤقتة الوحيدة التي شارك فيها حزب "أجودات إسرائيل" وانسحاب الحزب من الائتلاف بسبب صدور تشريع حكومي يلزم الفتيات بالخدمة الاجبارية في الجيش وكان ذلك في عام ١٩٥٢"^(٢). وهو نوع من الضغط والابتزاز اعتادت القوى الدينية أن تستخدمه كثيرا من داخل مقاعد الائتلاف الحاكم.

ويذكر في هذا الصدد أن العنف حول هذه القضية بلغ حدا صداميا خطيرا عندما "حاول الحاخام "مردخاي الياهو"^(٣) منع نقاش في الكنيست (عام ١٩٥١) بالقاء قبلة يدوية على قاعة المناقشات، واتهم بالعمل على منع تجنيد الفتيات المتدينات عن طريق مهاجمة مكاتب وزارة الدفاع، والعبث بالمستندات، كما اتهم بحمل السلاح، وتدريب بعض الشبان على حمله، وقد اتهم كذلك بالخيانة والتآمر ضد الدولة، لكنه لم يتراجع عن مواقفه ولم يؤد الخدمة العسكرية"^(٤).

(١) נא לעיין: ידיעות אחרונות، 7-6-1998.

(٢) غازي السعدي، الأحزاب والحكم في إسرائيل، مرجع سابق، ص ٣٢٦.

(٣) الحاخام مردخاي الياهو: ولد في القدس عام ١٩٣١، واشتهر في أوائل الخمسينيات بنشاطه في الحركة الدينية السرية (بريت قنائيم) (حلف الغيورين)، ورغم الحكم عليه بالسجن عشرة أشهر فقد تولى منصب الحاخام الأكبر السفاردي في إسرائيل لفترة. (انظر: صلاح الزرو، المرجع السابق، ص ١٩٣)

(٤) نفس المرجع، ص ١٩٣.

ويشار في هذا الصدد إلى تصريح "بن شلومو" النائب في الكنيست عن حزب "شاس": "إذا كان ستمائة وثلاثة جنود قد قتلوا خلال حرب لبنان فالسبب في ذلك هو التسبب الجنسي للمجنندات"^(١). ويتسق هذا مع الاختلاف بين العلمانيين والمتدينين بخصوص المساواة الكاملة في الحقوق بين النساء والرجال، في كل المجالات بما فيها المحاكم المختصة بالقضاء في شئون الزواج والطلاق وتربية الأولاد" (على خلاف الوضع القائم في محاكم الدولة التي تقضى في مثل هذه القضايا فلا تستطعن النسوة إلا أن تكن ماثلات أمام المحكمة لا أن تكن قاضيات أو شاهدات)"^(٢).

يأتى الموقف السابق في الوقت الذى توصل فيه التيار الدينى القومى الصهيونى لصيغة "حل وسط مع الحكومات الإسرائيلية المختلفة، تقوم على إنشاء معاهد عسكرية متدنية، تجمع ما بين الدروس الدينية والعسكرية، بحيث يحول خريجي هذه المعاهد إلى الجيش لقضاء فترة خدمة مختصرة يعودون بعدها إما لمواصلة دراساتهم الدينية أو الانضمام إلى النشاطات الاقتصادية والاجتماعية المختلفة في المجتمع"^(٣). وكانت هناك محاولة في أوائل الخمسينيات لقصر الإعفاء بالنسبة "للحريديم" إلى أربع سنوات إلا أن "الحريديم" قاوموها بدعم قوى من الحزب الدينى القومى والحاخامية الكبرى. "وكان التأجيل في البداية يطبق على بضعة مئات من الرجال، معظمهم لاجئون من اليشيفا التي تم تدميرها في أوروبا الشرقية، لكنه من بعد ١٩٧٧، وبعد دخول أحزاب دينية للائتلاف أصبح يطال ويشمل: الطلاب، والمدرسين، وكل الحريديم"، بما لا يقل عن ٢٥ ألف طالب"^(٤). وموقف الحزب الدينى القومى في هذا الصدد ينطلق من "إيمانه بأن هناك ظروفًا خاصة عند بداية الخلاص تبرر التخلي مؤقتًا عن المبدأ مما يساعد على التعجيل بعملية الخلاص، لذا يؤيد الحزب الخدمة العسكرية لمعلمي التلمود"^(٥).

(١) إيمانويل هيان، المرجع السابق، ص ١١٠.

(٢) يعقوب ملكين، المرجع السابق، ص ١٤.

(٣) محمد محمود أبو غدير (د)، المرجع السابق، ص ٦٦.

(٤) ديفيد لاندوا، المرجع السابق، ص ١٨٩.

(٥) إسرائيل شاحاك، المرجع السابق، ص ٤٠.

وعلى أى حال فإن الخلاف بين المتدينين والعلمانيين بشأن واجب التجنيد في الجيش الإسرائيلي يدور بشكل أساسى حول: "هل يسرى هذا الواجب على كل مواطنى الدولة أم يُطبق على العلمانيين فقط ويمتنع المتدينون عنه. والاختلاف حول واجب الانصياع للأغلبية أو للقائد في الوحدات العسكرية والتي يرأسها حاخامات، مثل المجموعات المنظمة من الجنود الأرثوذكس المتدينين، والذين يتدارسون التوراة في نطاق خدمتهم العسكرية"^(١). وهى قضية محورية وغاية في الدقة تثور كلما دخلت العملية السلمية منعطف الحسم وكادت الحكومة تتعهد باخلاء بعض المستعمرات.

وهنا يثور في الدوائر المتدينة السؤال: "هل يتوجب على الجندى المتدين أن يبلغ عن نيته بعدم تنفيذ الأوامر الخاصة بالانسحاب أو إخلاء مستوطنات، بناء على أوامر من الحاخامات برفض الانصياع لأوامر قادته؟ حيث أكد الحاخامات بناء على أدلة دينية أنه من الأفضل التزام الصمت"^(٢). مع الوضع في الاعتبار أنه "صدرت في يوم ٢٩-٤-١٩٩٤ فتوى دينية تحرم على الجنود إخلاء اليهود من الخليل"^(٣). بما يعنى صداما مريرا ومفاجئا قد ينشب من جراء عصيان الأوامر أو تطورا متلاحقا لافساد العملية برمتها باستخدام أسلحة الجيش الإسرائيلي والخبرة القتالية في قتل مدنيين فلسطينيين.

أما بالنسبة للخطوات المستقبلية والتي من شأنها أن تعجل الصدام الفعلى بين المعسكرين فقد نوهت لبعضها "معاريف"، ونستشهد بها كنموذج على عدم الرضا عن الوضع الحالى بين العلمانيين، وعدم قبول قطاعات منهم أيضا لأى حل وسط يميز "الحريديم" ويمنحهم وضعاً خاصاً في الجيش حيث ذكرت "معاريف" أن هناك "مشروعاً جديداً لتجنيد "الحريديم" في الجيش الإسرائيلي يقوم على ١٨ شهراً

(١) يعقوب ملكين، المرجع السابق، ص ١٥.

(٢) أבישי בן חיים، معריב، 26-12-2003.

(٣) מרדכי נאור، ספר החמישים، שם، 1998، עמ' 279.

في الخدمة، ومبيت في البيت كل يوم"^(١) حيث أكدت الصحيفة أن الجيش يبحث بالفعل المشروع "وبهذه المناسبة وصفت "معاريف" الوضع الحالي بقولها: "وحسبما هو معتاد في الوقت الحالي، فإن جميع طلبة المدارس الدينية الذين يقرون بأن "التوراة هي مهنتهم"، يتم إعفاؤهم من الخدمة العسكرية. وهم يحتاجون إلى تكرار هذا الإقرار من وقت لآخر حتى يظل إعفاؤهم من الخدمة ساري المفعول، ولكن في مقابل ذلك يحظر عليهم العمل. وفي الآونة الأخيرة عقب القانون الذي يستند إلى توصيات لجنة طال^(٢)، تم العمل بما يُعرف بـ "سنة الحسم". والتي بمقتضاها يستطيع طلبة المدارس الدينية "الشيافوت" التوقف عن الدراسة والخروج إلى العمل لفترة محددة، في نهايتها يجب عليهم اتخاذ قرار بشأن تجنيدهم في الجيش الإسرائيلي أو عودتهم إلى هذه المدارس الدينية. تشذ عن هذه القاعدة وحدة "الناحال الحريدي"^(٣)، التي تجند فيها في السنوات الأخيرة شباب توقفوا عن الدراسة. وقد تلقى جنود "الناحال الحريدي"، الذين يعملون في مهام قتالية في قطاع أريحا وعوداً بأنهم سيخدمون في وحدة كل جنودها من الحريديم ولن يكون فيها فتيات. وكجزء من التسوية تلقى هؤلاء وعداً أيضاً بالحصول على الطعام الشرعي على نحو متشدد وصارم وفق ما هو متبع بين أوساط الطائفة الحريدية، وبأن الصلوات اليومية ودروس التوراة ستكون جزءاً لا يتجزأ من جدول أعمالهم العسكري"^(٤). مما يفرغ الخدمة العسكرية من مضمونها ومغزاها، ولا يخفف من حلق الأغلبية العلمانية ضدهم.

(١) عمير روفبورت، معري، 14-1-2004، عم' 8.

(٢) لجنة طال: هي لجنة تم تشكيلها لبحث وضع نظام مناسب لتجنيد شباب المدارس الدينية، وترأسها القاضي تسفي طال، وقد شكلت هذه اللجنة في أغسطس ١٩٩٩ بأمر من إيهود باراك رئيس الوزراء ووزير الدفاع آنذاك. www.keneset.org.il : "נא ללוי".

(٣) الناحال: اختصار لعبارة (الشباب الطلائعي المحارب)، أحد أسلحة الجيش الإسرائيلي، تأسس وقت أن كان دافيد بن جوربون رئيساً للوزراء، وذلك بهدف دمج حركات الشباب الصهيونية في الجيش ومنحها إطار عسكري يمزج بين النشاطات المدنية والعسكرية، ويهدف الناحال منذ بدايته إلى دفع الإستهيطان اليهودي في أنحاء فلسطين وإقامة المستوطنات. (راجع : عبد الوهاب المسيري (د)، المرجع السابق، المجلد السابع، ص ٦٠)

(٤) عمير روفبورت، معري، 14-1-2004، عم' 8.

موقف الصحافة الدينية من قضية التجنيد

أ- رفض مطلق لتجنيد طلبة "اليشيفوت":

ويعبر عن هذا الاتجاه مقال نشرته صحيفة "يوم ليوم" (لسان حال كتلة شاس في المستدروت) لشلومو حداد جاء فيه:

"إن الخطر المميت على الدولة (دولة إسرائيل) والعالم من تجنيد طالب واحد من طلبة اليشيفا (معهد ديني) بدون رغبته -أخطر من خطر الحرب الفعلية. إن من كان رئيسا لأركان الجيش الإسرائيلي ويجلم بأن يصبح رئيسا للوزراء من شأنه أن يؤدي لخراب بتقديمه اقتراحا لتجنيد طلبة "اليشيفوت". فبهذا هو ببساطة يهدد وجود الدولة ووجود العالم... فلولا دارسو التوراة ما كانت حرب الأيام الستة قد انتهت بمعجزات باهرة، ولولا دارسو التوراة لكانت حرب أكتوبر..."^(١) (لم يستكمل النص في المرجع العربي).

ترى الصحيفة الحريدية أن تجنيد طالب واحد من طلبة المعاهد الدينية يعد كارثة لا نجاه منها. وهى بذلك تخوف من المرشح لرئاسة الوزراء -آنذاك- إيهود باراك- وتحاول إثارة الجماهير ضده. وتسعى الصحيفة فى الوقت نفسه إلى تصوير طلبة اليشيفوت على أنهم يؤدون واجبهم تجاه الدولة على أكمل وجه، وأنه لولاهم لحسرت إسرائيل الحروب المصرية التى خاضتها.

ويذكر فى هذا الإطار ما "توقعه" نتان دونفيتس" حيث ذكر فى مقال له فى صحيفة هاآرتس حيث أشار إلى حدوث ردود فعل لدى الجنود الإسرائيليين للانتصار الذى حققه المتدينون فى الانتخابات قائلا على لسان العلمانيين: لن نخدم فى المناطق المحتلة طالما أن ممثلى عشرات الآلاف من الشباب الذين يتهربون من الخدمة العسكرية يعملون فى الحكومة. نحن لسنا خدما للقوى السوداء"^(٢). وهو

(١) שלמה חזדד، 'יום ליום'، 17-17، 1998، עמ' 39.

(٢) يشعياهو ليفنان، المرجع السابق، ص ٨٥.

ما يؤكد أن الخلاف حول هوية الدولة من العناصر التي تتجلى للعيان بجلاء من خلال التعامل مع قضية التجنيد.

وفي اتجاه مواز ذكرت صحيفة "يوم ليوم" الناطقة بلسان حزب "شاس" أنه على رأس القضايا التي لا يجب التعامل معها بشكل ديمقراطي قضية التجنيد حيث ذكرت:

"سيؤدي إجراء استفتاء شعبي -بغض النظر عن نتائجه- للمزيد من الاستثناءات في كل الموضوعات بما فيها تجنيد طلبة المعاهد الدينية وتناول الأطعمة الشرعية، حتى الختان. وهنا قد يستطيع الـ ٢٠٪ من غير اليهود، الذين يعيشون في "أرض إسرائيل"، ومن شبوا على تقليد غير اليهود أن يحسموا موضوعات لم يفلح اليونانيون أو الرومان في أن يحسموها. يجب علينا معارضة إجراء استفتاءات شعبية والاكتفاء بالانتخابات"^(١).

وتبين لنا من الاقتباس السابق أن الصحيفة تمنح قضية التصدي لتجنيد طلبة الشيفوت الأولوية القصوى وتجعلها قبل قضية الكشירות، والختان، على سبيل المثال، وتؤكد الصحيفة على أن مرجعية حسم هذه القضية ليست رأى الأغلبية. واللافت هنا أن قضية التجنيد تتجه نحو التصعيد، خاصة وأن "طلبة المعاهد الدينية، كان عددهم - حين تم اعفاءهم من الخدمة العسكرية عند إعلان الدولة - لا يتجاوز ٤٠٠، لكن عددهم في نهاية التسعينيات أصبح نحو ٣٠٠٠٠"^(٢). وهذه الألوف لا تعمل، وتتمتع بكل مميزات المواطنة، ومنها التمويل المالى للمعاهد الدينية.

ب- التخويف من التجنيد كخطوة نحو العلمنة:

ويعبر عن هذا الاتجاه في الصحافة الدينية مقال نشرته "يتيد نشمان" بعنوان: "جولاني الخاص بى" جاء فيه:

(١) שלמה חזן، יום ליום، 4-7-1998، עמ' 27.

(٢) انظر: عبد الوهاب المسيري (د)، المرجع السابق، المجلد ٧، ص ٢٨٢.

"إن هذا يبدأ بالصحف المسائية التي تدخل للمنزل حتى تكون على اطلاع بمجريات الأمور. هذا يبدأ أيضا بمشاهدة الأخبار في التلفزيون وما قبل ما قبلها، وما بعدها.. هذا يبدو بطريقة قص الشعر وتصفيفه .. وبأسلوب الحديث . يدفعون ثمن هذا باهظا عندما يرتدون الزي العسكري فيبتلعهم قلب الإسرائيلية -الجيش. يدفعون عندما يغنون بصوت مبجوح مع كل افراد السرية "جولاني الخاص بي" فشيء ما يدمر ويصبح "جولاني". يدفعون الما ويدفعون نقدا: بالجراح، والحجز في المستشفى، والإعاقة، العلاج، بما كان ولا يعود كما كان. ثمننا لا يوجد ما هو أغلى منه: الشكلى، الضياع، الجنازات، النصب التذكارية، الاحتفالات التأبينية التي لا تفيد....إننا مرتبطون برأى العظماء، ويجب تذكر أن من يرغب في التقدم، لموضع القيادة، سيطلب منه دفع الثمن"^(١).

ومن الاقتباس السابق يتبين لنا أن الصحيفة الحريدية التي عبرت عن مواقف الحاخام شاخ والتيار الليتواني باكملة وحزب "ديمجيل هتوراه" ترى أن في تجنيد المتدينين خطرا داهما وعظيما من شأنه أن يجعلهم يحيدون تدريجيا عن الطريق القويم ويدفعهم نحو القتل والضياع والاصابات. وفي هذا تحذير مكثف للمتدينين حتى لا يتواجدوا في معقل العلمانية، وهو ما يعنى قطعاً عدم القدرة على الانسجام والتعامل مع الحياة العسكرية التي لا تراعى الشريعة، وفي نفس الوقت تعرض المجند للخطر الذى يصور هنا وكأنه عقاب إلهى.

كما جاء مقال في صحيفة "هتسوفيه" تحت عنوان "حول تجنيد الفتيات في الجيش الإسرائيلى" ما يؤكد نفس الاتجاه، لكن بتكتيك مختلف حيث جاء في المقال:

"أمامى ملف به سلسلة من الخطابات، والأوامر والفتاوى صادرة عن أبرز حاخامات الصهيونية الدينية، وكذلك من الحاخامات الرئيسيين أنفسهم منذ قيام الدولة وحتى سنوات قليلة مضت، تتعلق بتجنيد

(١) ر. يودلبىץ، "גולני שלי"، יתד נאמן، 17-7-1998، עמ' 4.

الفتيات. أمنون شابيرا سكرتير عام حركة بنى عقيفا بالدفاع عن الفتيات المتدينات المتجنّدات" (١).

يؤكد الاقتباس السابق أن قضية تجنيد الفتيات في الجيش الإسرائيلي قضية خلافية في المجتمع الإسرائيلي، لذا أصدر أكثر من حاخام أكبر وكبار رجال الدين اليهودي "عظماء التوراة"، فتاوى وأوامر وشروحا بهذا الشأن، بل وتم أيضا تأسيس لجنة للدفاع عن الفتيات المتدينات المجنّدات، مما يوحى بشعورهن بالاضطهاد، وأنه يتوجب على قادة الجيش معاملتهن معاملة خاصة. وفي نفس الاتجاه أيضا نُشر في صحيفة "يوم هشيשי" تحت عنوان "تأجيل (الخدمة)" مقالا جاء فيه:

"لقد اتضحت الرؤية الآن: على الرغم من كل الوعود التي كافأ بها مسبقا حزب "يهדות هتوراه" إيهود باراك، حيث امتنع أعضاء الحزب عن التصويت في الكنيست على الاقتراع الأخير بسحب الثقة، كرد للجميل بعمله على اقرار القانون في القراءة الأولى، وبعد أن تلقى وعودا بشأن الخطوات المستقبلية، ليست هناك إمكانية لاكتمال القانون قبيل انتهاء الفصل التشريعي وبدء عطلة الكنيست الصيفية، التي ستنتهي بعد الأعياد. في خلال تلك الفترة ستناقش المحكمة العليا الإسرائيلية الأمر مرة ثانية، وحتى وإن كان لا يوجد لهذا أي تأثير عملي فإن موضوع طلبه المعاهد الدينية سيكون مرة أخرى معلقا على "كرم" المحكمة والبلبله الجماهيرية تجاه الحكم الذي ستصدره" (٢).

يتبين لنا من الاقتباس السابق أن الخلاف بين العلمانيين والمتدينين يتجسد بشكل صارخ في هذه القضية، حيث تصور صحيفة "يوم هشيשי" الدينية المستقلة، العلمانيين على هيئة من يتصلون من وعودهم بشأن تأجيل الخدمة العسكرية لطلبة "اليشيفوت" وعدم السعي لتجنيدهم، على الرغم من تقديم المتدينين مساعدات ملموسة لهم. وهذا يشير لنا بأن الصحف الدينية والقوى المعبرة

(١) أمنون شپیرא (ד"ר)، "על גיוס בנות לצה"ל"، הצופה، 22 - 10 - 1998، עמ' 9.

(٢) ע. כספי، "דחייה ב 'שרות'"، הצופה، 21 - 7 - 2000، עמ' 7.

عنها لا ترى غضاضة في التحالف مرحليا مع عناصر علمانية، بغرض تحقيق مصالحها النهائية.

يذكر في هذا المجال أن الحاخام عوفاديا يوسف عندما عارض تجنيد الفتيات في الجيش برر هذا بقوله: "لأن الرب هو الذى يحمى إسرائيل وليس جيشها"، أما طلبة المدارس الدينية فهم في رأيه: "السور الذى يحمى الأمة"^(١).

وفي اتجاه مواز ذكرت صحيفة "يوم هاشيشى" تحت عنوان: تجنيد وتسريح - هل تذكر قانون لجنة طال؟

"لقد كنا فيما سبق نعتقد أنه بواسطة القانون سيكون ايهود باراك اسيرا في يد الكتل البرلمانية الحريدية، وإنه لن يحصل على دعم إذا لم يدفع القانون قدما أو يقره بشكل سريع.

اتضح أن القانون حول الكتل البرلمانية لرهائن في يد باراك. والآن سيمط في الماطلات بشأن القانون لأشهر طوال وربما سنوات. وفي كل مرة يطرح التهديد: إذا لم تدعموني، لن يصدر قانون.

من الأجدى لنا أن نتخلص من هذا للأبد، فلن يجند أحد الآلاف لمراكز التدريب الأولى. إنه تهديد خاوى. بالاضافة إلى أن الجيش لا يريد هؤلاء الجنود. والخوف لدى هؤلاء الخائفين هو خوف فارغ من مضمونه"^(٢).

يملك كل طرف - فيما يتعلق بقضية تجنيد طلبة اليشيفوت - عددا من أوراق المساومة منها: الاشتراك في الحكومة وتأيدها في الكنيست، وكذلك تخصيص ميزانيات. ويمكن ملاحظة أهمية القضية وحجمها الحقيقي من مقارنة أعداد طلبة اليشيفوت حاليا في إسرائيل بطلبة اليشيفوت في دول أجنبية يعيش فيها ملايين اليهود. "في ليتوانيا التى كان يعيش خمسة ملايين يهودى لم يكن يوجد في نهاية القرن

(١) صلاح الزرو، المرجع السابق، ص ٢٧٣.

(٢) "גיוס ושחרור"، יום הששי، 21-7-2000، עמ' 19.

التاسع عشر سوى ١٥٠٠ طالب يشيفا عليا، كما أنه يوجد في العالم كله تسعة عشر مليون يهودي، وكان يوجد بينهم فقط ثلاثة آلاف طالب يشيفا. في حين يوجد في إسرائيل حاليا ١٠٠ ألف فرد معترف بهم كطلاب يشيفوت، بتمويل من الدولة طوال حياتهم"^(١).

وفي اتجاه مواز ذكرت هتسوفيه تحت عنوان "انصياع للهاالاخا ورفض للأوامر":

"مرة أخرى تنفجر إشكالية رفض الأوامر باعتبارها واحدة من أهم قضايا الرأي العام، واعتقد أنه يجب صياغة قواعد للنقاش حول تلك الإشكالية لأنه بدون هذه القواعد لن نستطيع النقاش والتفاوض بشكل سليم.

القاعدة الأولى: هي أنه لا قداسة للأوامر العسكرية. فالأمر يصدر عن بشر يمكن أن يخطئ، أخطاء أخلاقية أو مهنية، وهناك أوامر خاطئة كثيرة تسببت في كوارث خطيرة. وأذكر كارثة "تسيلييم"^(٢)، والطائرات التي أطلقت النار على قافلة من قواتنا في لبنان. وهذان مجرد مثالين معروفين من بين أمثلة أخرى كثيرة. ولو رفض الجنود في هذه الاثناء تنفيذ الأوامر لأنها كانت عجيبة، كما اتضح فيما بعد، أو لو كانوا أكثر انتقادا للأمر لكننا تجنبنا فقد أرواح.

فعندما ارشيل شارون قيادة قطاع في حرب أكتوبر رفض أمرا بنقل قسم من قواته لصالح قطاع آخر. وكالت له بعد ذلك لجنة أجرات المديح، حيث أكدت أنه بهذا الشكل أنقذ أرواح كثيرة من القتل، وغير مسار هذا القتال المرير.

وفي حرب سلام الجليل أنقذ ضابط ملحق على إحدى الكتائب الكتيبة كلها من موت محقق، عندما حذر قائد الكتيبة من تنفيذ أمر قائد اللواء الذي لم يكن يعرف الحقائق على أرض الواقع.

(٣) سפי רכלבבקי، חמורו של משיח, שם, עמ' ١٧.

(١) حادث أسفر عن مصرع وإصابة عدد من الجنود الإسرائيليين، خلال تدريبات للجيش الإسرائيلي.

وكانت هناك أيضا أوامر لا أخلاقية كان يحظر تنفيذها، وكما حددت المحكمة عدة مرات سواء بعد كفر قاسم أو مؤخرا في زمن الانتفاضة، عندما يأمر قادة بتكسير أيدي وأرجل عرب مشيرين للشغب. إذن لا توجد قداسة للأوامر، وأحيانا تنسب في كوارث، هذا على الرغم من أن الجيش ونظامه يقومان على الأوامر.

القاعدة الثانية: هي أن الجندي ليس ماكينة. وليس كما تردد مؤخرا أنه لا يجب أن ننقل على الجندي بالمسؤولية القانونية أو الأخلاقية عن قرار خاطيء! على العكس نحن نخشى من جنود كالروبوت فهذا هو العيب، فليس هذا الجندي الذي نشده. الجيش لا يدرب جنودا فقط، بل يعلمهم، لذا هناك سلاح للتعليم، ودورات تعليمية لكل الجنود. هذا الفارق يجعلنا لا نصنع للكفيف.

القاعدة الثالثة: هي أن الديمقراطية تجل المبادئ الأخلاقية والإيانية لشرائح السكان المختلفة، وتحترم الاتفاق القومي (الثوابت القومية)، وهذه القاعدة ليست بجديدة، وكان واضحا دائما للحكومات أنها لا تستطيع أن تصدر أمرا للجيش يتعارض مع قيم أخلاقية، أو قيم مقدسة لقسم كبير من الجنود لأن من شأن هذا أن يقوض دعائم الجيش. رجال اليسار، على سبيل المثال، أعلنوا ويعلنون من فوق كل منبر إنهم إذا صدرت لهم أوامر باخلاء عرب من منازلهم سيرفضون أو يثيرون الشغب أثناء العملية، ومن الواضح أنه لا يجب اتهامهم بضعف الانتماء للجيش أو للدولة. ولا توجد حكومة لا تصدر أمرا كهذا. لا يوجد أى سبب لاضطهاد الجمهور الدينى وكأنه يجب عليه الانصياع لكل أمر يصدر له حتى ولو كان يتعارض مع ضميره ومبادئه.

القاعدة الرابعة: هي أننا كيهود ملزمون فقط بأحكام التوراة. وأنه لا يجب الانصياع لقوانين السلطة، أو حسبما ورد في "الهالاخا": "حكم السلطة ملزم"، فهي قاعدة توراتية. وهو مبدأ ورد في "شولحان عاروخ" ولو لم يرد في "الهالاخا" لالتزمنا به. ويفهم من هذا أن أى قانون يتعارض مع "الهالاخا" لن نستطيع القيام به.

حتى الآن تعرف الدولة والجيش ذلك، ولذا لا تُسن قوانين لا تلتزم بالشرعية. وأنا اتعجب من أشخاص لا يؤمنون بتوراة سيناء، واتعجب بالتأكيد من حاخامات يقولون بأنه يجب الانصياع لأي أمر. هم على ما يبدو لا يعرفون الجيش بالشكل الكافي. تقريبا كل جندي متدين تصدر له أوامر يزن شرعيتها عندما يكون الأمر متعلقا بتدنيس السبت، أو مشكلة متعلقة بالأطعمة الشرعية. حاليا لا يقوم مفتو الجيل بدور القيادة في الجيش، وهناك احتمال لصدور أوامر تتعارض مع الهالاخا. جنود كثيرون رفضوا أوامر على مدار عمر الجيش الإسرائيلي، واتضح بعد ذلك أنهم كانوا على حق وأحيانا تم معاقبة القادة. وقد حدث أكثر من مرة أن قادة صغار وكبار أيضا تمت محاكمتهم وأدينوا بتدنيس السبت، ومواقف مشابهة.

القاعدة الخامسة: هي أنه يجب التعامل باحترام وأدب مع الحاخامات المهمين والكبار، الذين يدلون بآراء هلاخية، حتى ولو كان حاخامات آخرون لا يؤمنون بصحتها. فليس كل شخص، حتى ولو كان يضع كلنسوه الصلاة اليهودية، أو مجرد حاخام في بداية طريقه يمكنه أن يتحدث باستخفاف ووقاحة عن الأكبر منه في العلم والعمر. لو التزمنا بتلك القواعد نستطيع أن ندير مناقشة جماهيرية بعقل وجدية والمساهمة في تحسين المجتمع لتأمين ترسيخ ديمقراطيته والمساواة والأخلاق فيه، وإيمانه بالتوراة والوصايا"^(١).

ويتبين لنا من الاقتباس السابق أن الصحيفة وهي ناطقة بلسان "الصهيونية الدينية"، وممثلها الحزبي الوحيد (المفدال) ترى أن قوانين الشريعة ملزمة بقدر يفوق قوانين السلطة، لذا يجب على كل جندي أن يزن بعقله أي أمر عسكري قبل أن ينفذه، بمعنى أن يقيمه وفقا لمعايير الشريعة ومدى تطابقه معها، فإذا كان هناك تعارض فإنه ملزم بعدم تنفيذه. وهو ما يتعارض مع طبيعة المجال العسكري الذي يستلزم طاعة كاملة، وعدم تردد في تنفيذ أي أمر.

(١) ر. أبراهيم ووسرم، "سيوت להלכה - סרבנות להוראות", הצופה, 17 - 1 - 1997, עמ' 4

كما تسرد الصحيفة العديد من النماذج التي مر فيها عصيان للأوامر بسلام، بل وأشاد به البعض، وتشبثت الصحيفة كذلك بالديمقراطية، مرددة أن المجند ليس مأكينة تنفذ الأوامر، خاصة وأن العلمانيين سبق لهم عصيان الأوامر فيما سبق. وفي نفس الوقت تشن الصحيفة هجوما مضادا على من يهاجمون الحاخامات الذين يؤيدون عصيان الأوامر. وهذا كله نوع من التحريض المكثف على عصيان الأوامر حال صدورها بإخلاء مستوطنات.

وفي تأكيد مباشر على الدعوة السابقة ذكرت هتسوفيه في تقرير لها نشرته في صدر صفحتها الأولى:

"تم بالأمس التحقيق مع الحاخام اليعيزر فلدمان رئيس المعهد الديني التابع لنظام مهسدير في كريات أربع بتهمة الدعوة للتمرد. وكان رئيس معهد "نير" الديني التابع لنظام مهسدير في كريات أربع الحاخام اليعيزر فلدمان قد قال منذ أسابيع إنه يجب على الجندي الذي يتلقى أمرا بإخلاء الخليل أن يعصى هذا الأمر. وحينها وجه عضو الكنيست يوسي ساريد انتقادات، حيث قال: يجب التحقيق مع الحاخام اليعيزر فلدمان. وهو ما تكرر بعد حادث إطلاق النار الذي وقع بالأمس حيث قال عضو الكنيست يوسي ساريد: يجب التحقيق مع الحاخام اليعيزر فلدمان، إنهم يسمعون أقوال الحاخامات وينفذونها.

وبالفعل حضر ضابطان من الشرطة الإسرائيلية - بعد تنسيق مسبق مع الحاخام اليعيزر فلدمان - حيث وصلا بعد الظهر لمبنى المعهد الديني وتوجها لمكتب الحاخام فلدمان وحققا معه بشأن ما قاله.

دار التحقيق في إطار جيد للغاية فقد كان الضابطان يتعاملان بلطف ووضعا في الحسبان مكانة الشخصية التي يحققان معها. وبعد ربع ساعة ذهبوا. وستقرر الشرطة ما إذا كان سيتم توجيه لائحة اتهام للحاخام رئيس معهد مهسدير الديني بتهمة الدعوة للتمرد"^(١).

(١) أهارون غرنوت، سופر הצופה בחברון، "הרב אליעזר ולדמן מקריית ארבע נחקר במשטרה בחשד להמרדה"، הצופה، 3-1-1997، עמ' 1.

ومن النص السابق يتضح لنا أن هناك بين المجندين في الجيش الإسرائيلي من يصغون لآراء وفتاوى الحاخامات، مما يمثل خطراً على المدنيين الفلسطينيين، أو على العرب في دول الطوق، وهو الأمر الذي قد تكون له عواقب وخيمة، لو لم يتم ضبط النفس من الجانبين، هذا بالإضافة لهدمه النظام العسكري من أساسه لأنه قائم على طاعة أوامر القادة، وعدم التدخل في السياسة. كما يتضح لنا أيضاً مدى حرص الشرطة الإسرائيلية في التعامل مع الحاخامات، خوفاً من غضب أنصارهم، حتى لو حرضوا ضد الجيش، وناشدوا المجندين في الجيش الإسرائيلي عصيان الأوامر والتمرد على قادتهم.

النتائج:

ومن كل ما سبق نخلص إلى أن:

- ١- ترفض الصحافة الدينية والقوى الدينية الناطقة بلسانها تجنيد طلبة الشيفوت "الحريديم" بالجيش الإسرائيلي رفضا باتا، وهو ما ينطبق أيضا على الفتيات، ويعتبرون أن تجنيد طالب واحد بمثابة كارثة عامة.
- ٢- تعتبر الصحافة الدينية والقوى الدينية الناطقة بلسانها الجيش معقل العلمانية، والاقتراب منه يتم بشكل تدريجي عبر تغيير أسلوب تصفيف الشعر ومشاهدة التلفزيون.
- ٣- يعمد أغلب كتاب الصحف الدينية لأسلوب التخويف من الموت أو الإصابة في الجيش الإسرائيلي، وذلك لردع المتدينين عن الانضمام للجيش.
- ٤- يرفض الحريديم التقليل من شأنهم، والاتهامات بالتطفل لعدم مشاركتهم في تحمل العبء، ويزعمون أن دراستهم للتوراة هي التي حققت النصر في ٦٧، ومنعت هزيمة محققة مروعة في أكتوبر ٧٣.

المبحث الثالث

موقف الصحافة الدينية فى إسرائيل من قضية "الكشروت"

تمهيد:

تنظم عملية الأطعمة الشرعية قوانين تتعلق بالطعام المباح أكله فى الشريعة اليهودية. و"الكشروت" "تعنى مراعاة أنواع الاطعمة التى تبيح الديانة اليهودية تناولها أيام السبت والأعياد. وقد سعت الجماعات الدينية إلى حل الدولة على اتخاذ شتى التدابير للحفاظ على قوانين الاطعمة الدينية فى جميع المؤسسات الحكومية العامة مثلاً طيران "العال" وشركة "تسيم" للملاحة. بالإضافة للكنيست والجيش"^(١).

تقوم وزارة الأديان وتحديدًا القطاع اليهودى منها (الأكثر نشاطًا بين بقية القطاعات: الإسلامى والمسيحى وأخيرًا الدرزي) بالتعاون مع الحاخامية الكبرى بشأن مراقبة الأطعمة الشرعية.

و"كاشير" كلمة عبرية تعنى حرفياً: "مناسب" أو "صالح"، وفى الفقه اليهودى تعنى "الطعام المباح شرعاً". والمقصود القوانين التى تتعلق بالطعمة. ومن هذه القوانين التى ما زال كثير من اليهود يتبعونها:

١ - "من المحظور أكل لحوم حيوانات معينة مثل لحم الخنزير والخنزير، وكذلك لحوم الحيوانات البحرية مثل المحار والجمبرى والقواقع.

(١) أسعد رزوق (د)، المرجع السابق، ص ٩٥.

٢- يجب ذبح الحيوانات طبقا لنصوص الشريعة اليهودية، ولا بد ان تكون مطابقة للقواعد الصحية.

٣- لا تؤكل اللحوم ومنتجات الألبان في وقت واحد^(١).

هذا وتشرف دار الحاخامية على تنفيذ أحكام الاطعمة الشرعية بحذافيرها. والمعروف أن سفر "حولين" في التلمود يتضمن تلك الشروحات والتخريجات الربانية المتعلقة بتحليل الاطعمة وتحريمها، كما يشتمل على الاحكام التقليدية في الذبح الشعائرى. "ومما لا ريب فيه أن السلطة الحاخامية العليا في إسرائيل تسهر على تنفيذ هذه القوانين والقواعد، وتحرص على ممارسة الإشراف العام المباشر، مما يضمن استمرار الشرع التلمودى، ويكفل تواصله مع الماضى السحيق"^(٢).

ومع هذا فإن عملية "الكشירות" وتعقيدها وتفصيلاتها الشرعية تجعل من الصعب الاطمئنان دائما لتطبيق قواعد "الكشירות" تطبيقا صحيحا. ومن الأدلة على ذلك "حرص الحاخام شاخ على عدم الأكل خارج بيته مطلقا، حتى ولا في بيوت أبنائه خوفا من تناول الطعام غير الشرعى (هطريف)"^(٣).

وقد ساعد على هذا التشدد في تطبيق أحكام الشريعة المتعلقة بالكشירות التزام الحكومة بقانون احتكارها لاستيراد اللحوم المجمدة، مع التزامها غير المكتوب بعدم استيراد لحوم غير شرعية. وترجع أسباب تطبيق هذا القرار في البداية لعهد الانتداب البريطانى، نظرا لظروف الحرب العالمية الثانية، إلا أن الحكومة تسرت به لإرضاء الأحزاب الدينية، هذا وقد "ثارت ضجة عام ١٩٩٣، عندما حاولت الحكومة خصصة استيراد اللحوم، بمعنى السماح للقطاع الخاص باستيرادها، بشرط الحصول على شهادة "كشירות"، وهو ما رفضته المحكمة العليا في إسرائيل، مما دفع الحكومة للتراجع عن الخصخصة والعودة لاحتكار استيراد اللحوم"^(٤).

(١) رشاد عبد الله الشامي(د)، جولة في الدين والتقاليد اليهودية، مرجع سابق، ص ٢٨.

(٢) أسعد رزوق(د)، المرجع السابق، ص ٢٨١.

(٣) صلاح الزرو، المرجع السابق، ص ٢٣٣.

(٤) שנתון דת ומדינה תשנ"ג-תשנ"ד، שם، עמ' 10-14.

وفي المقابل يتضرر أصحاب المطاعم والفنادق السياحية من تشدد وابتزاز الحاخامات حتى يحصلون على شهادة كشيروت، فهناك في الواقع جهات وشخصيات دينية عديدة مخولة بمنح شهادة الكشيروت في المنطقة الواحدة، والحصول على شهادة لا يعنى عدم الاضطرار للحصول على بقية الشهادات. وقد أكد هذا "نقاش جرى في الكنيسة في يناير ٢٠٠٠ أوضح فيه أن المتدينين الذين يعتقدون افراحهم في قاعات أفراح لا يعترفون إلا بشهادة "الكشيروت" الصادرة عن الحاخام الذي يتزعم التيار الذي ينتمون إليه مما يعنى في النهاية زيادة التكلفة على أصحاب قاعات الأفراح حيث يحصل كل משיג מן مشرف أو مراقب للأطعمة الشرعية على راتب شهري لا يقل عن ضعف متوسط الرواتب في إسرائيل وهي الرواتب التي تزيد في حالة الإشراف على فنادق كبرى، بجانب إقامة المراقب وعائلته في العطلات في حجرات الفندق"^(١). ومن الأمثلة أيضا على هذا الاتجاه أن التلفزيون الإسرائيلي عرض في تحقيق تليفزيوني إحدى صور الابتزاز والفساد في هذا القطاع عندما زعم المذيع، في اتصال تليفوني مع أحد المخولين بمنح شهادة "الكشيروت"، أنه يمتلك مطعما في جهة ما (وأبلغ الحاخام بالعنوان الوهمي) وبعد الاتفاق -بعد مساومة على المبلغ- تليفونيا والسداد أرسل الحاخام الشهادة دون أن يزور المكان الوهمي ودون أن يفحص أية أطعمة.

هذا و"تنتشر في الصحف الدينية إعلانات اعتذار، لمصانع أو مطاعم تم الغاء شهادة "الكشيروت" الخاصة بمنتجاتها لسبب أو لآخر، أحيانا بسبب أقوال غير ودية تجاه "الحريديم"، مما يدل بوضوح على الدور الذي تلعبه الصحيفة الدينية في توجيه العادات الاستهلاكية للطائفة الحريدية وبعض أصحاب الأعمال العلمانيين"^(٢).

وعلى أى حال فإن "تقديرات خبراء الاقتصاد في إسرائيل تشير إلى أن تكلفة الحصول على شهادات "الكشيروت" في إسرائيل لا تقل عن عشرات الملايين من

(١) أرييه بنדר، "שחיטה כשרה"، מעריב، 11 - 1 - 2002.

(٢) אמנון לוי، החרדים، שם، עמ' 252.

الدولارات سنويا"^(١). هذا بالإضافة لتشكيك العلمانيين في مناسبة شروط "الكشירות" للصحة العامة. وهو ما يرد عليه المتدينون بأنه يتوجب "إطاعة قوانين التوراة باعتبارها من القوانين الخالدة. ولذا لا يجب البحث عن تفسيرات "منطقية" لاتباع هذه القيود التي تتعلق بالأغذية في الوقت الحاضر وإنما يقولون: "نحن نطيع قوانين التوراة دون مناقشة"^(٢).

موقف الصحافة الدينية في إسرائيل من قضية الأطعمة الشرعية (الكشירות): ترفض الصحف الدينية مجرد مناقشة جدوى فرض قواعد "الكشירות"، أو حتى طرح أفكار جديدة لتطوير أداء مؤسسات الرقابة عليها. هذا وقد عبر عن هذا الاتجاه مقال بصحيفة "يتيد نثمان"، حيث جاء فيه:

"ناقشت لجنة الاقتصاد في الكنيست برئاسة "المحب لإسرائيل" المعروف افراهام بوراز من حزب شينوى موضوع منح شهادات للأطعمة بأنها شرعية، كما ناقشت السؤال: كم يكلف هذا السوق، وكم يكلف الذين يخضعون للرقابة؟ وقد أعلن بوراز أن اللجنة -التي تعد حاليا تعديلا في قانون الضوابط التجارية- تعتزم دراسة هل تستغل الحاخامية الرئيسية وهيئات أخرى قوتها الاحتكارية. بوراز زعم أنه: يجب إيجاد تنافس في منح صلاحيات للأطعمة من الناحية الشرعية، بهدف أن يتنافس مانحو شهادات الشرعية للأطعمة في الأسعار".

خلال الجلسة أيضا نقلت تصريحات وبيانات متنوعة ومتباينة حول تكلفة منح الصلاحيات للأطعمة من الناحية الشرعية على الصناعة والأوتيلات، والفنادق، والمطاعم.. الخ، مع ترديد مزاعم متناقضة سواء أنسقت مع الموضوع أم لا"^(٣).

ويتبين لنا من الاقتباس السابق أن الصحيفة الحريدية الناطقة بلسان الحاخام شاخ والتيار الليتواني الحريدى تسخر من قيادات حزب شينوى ذى التوجه

(١) אריה בנדר, שם.

(2) Howard M Sachar, op.cit., loc. cit, p.377

(٣) ר. צביאלי, "בלא קשר להכשר", יתד נאמן, 21-1-2000, עמ' 22.

العلماني، بوصف قيادي الحزب "بوراز" بأنه "محب لإسرائيل" والمقصود هو العكس، وذلك على خلفية طرحه في الكنيست لقضية "الكشירות" ومسألة الجدوى الاقتصادية من الانفاق عليه، وما يترتب على ذلك من أعباء إضافية على المصانع والمطاعم، والمستهلك الأخير. كما وصفت الصحيفة مناقشة الموضوع بأنها تمت بشكل متباين ومتناقض وغير متسق، رغم أن الطرح الخاص باللجنة كان يهدف لتخفيض أسعار المنتجات الغذائية للمستهلك. وهي الفكرة التي تكسر احتكار الحاخامية الكبرى في هذا الشأن.

وقد بلغ الإصرار على رفض النقاش حول قضية "الكشירות" من جانب القوى الدينية والصحافة المعبرة عنها حد أن صحيفة "يوم ليوم" الناطقة بلسان حزب "شاس" قد ذكرت في مقال لها:

"سيؤدي إجراء استفتاء شعبي -بنقض النظر عن نتائجه- للمزيد من الاستفتاءات في كل الموضوعات بما فيها تجنيد طلبة المعاهد الدينية وتناول الأطعمة الشرعية، حتى الختان. وهنا قد يستطيع الـ ٢٠٪ من غير اليهود، الذين يعيشون في "أرض إسرائيل"، ومن شبوا على تقليد غير اليهود أن يحسموا موضوعات لم يفلح اليونانيون أو الرومان في أن يحسموها. يجب علينا معارضة إجراء استفتاءات شعبية والاكتفاء بالانتخابات"^(١).

يتبين لنا من الاقتباس السابق اعتبار الصحيفة الدينية أن موضوع تطبيق قواعد الكشירות على رأس الخطوط الحمراء التي لا يجب المساس بها على الإطلاق حتى ولو كانت الأغلبية تتضرر منها. وتقارن الصحيفة بين العصر الحالي وبين عصر الكفرة اليونانيين والرومان، الذين كانوا في نظر اليهود محتلين يحاولون إجبارهم على الخروج عن تعاليم الديانة اليهودية.

ونشرت صحيفة "هتسوفيه" تحت عنوان "قواعد الكشירות الصارمة في مراكز للحاخامات المشرفين على الذبح من قبل الحاخامية الرئيسية لإسرائيل" مقالا جاء فيه:

(١) שלמה חדד، יום ליום، 4-7-1998، עמ' 27.

"بمبادرة من الحاخامية الرئيسية تقرر إقامة مؤتمر لحاخامات الإشراف على الذبيح في جميع المواقع، لتوضيح جميع المعضلات الصعبة التي تواجه قضية "الكشيروت"، خاصة على ضوء وجود لحوم غير شرعية تنمر الأسواق.

وقد أشير إلى أن المؤتمرات، التي عقدت بمشاركة حاخامات المدن الإسرائيلية المخولين بمنح شهادات أطعمة شرعية، وأطعم الإشراف على الذبيح، أسهمت اسهاما هاما في توثيق عرى التعاون، بين الحاخامات لتأمين الالتزام بقواعد الاطعمة الشرعية في إسرائيل. كما تم مناقشة قضايا "الذبيح الأسود"، وعمليات تهريب اللحوم غير الشرعية من منطقة غزة، والاتفاقية الزراعية بين إسرائيل والسلطة الفلسطينية التي جعلت التجار العرب يستطيعون إغراق الأسواق بلحوم غير شرعية، مع تقديمها على أنها لحم كاشير عليه بطاقات ورقية توضح ذلك أو أغلفة من النايلون مسجل عليها أنها كاشير. هذا بالإضافة "للذبيح الأسود"، الذي يتم في إسرائيل بواسطة مجرمين، حسبما كشف أكثر من مرة أطباء الخدمات البيطرية.

هذا الواقع يحمل أطقم المراقبة والإشراف مزيدا من العبء، التي طلبت من الحاخامية الرئيسية تدخلا أكبر والإعلان عن تعليمات مستديمة، بشأن ضرورة الالتزام بوسائل مراقبة فعالة، لا يمكن تزييفها، مثل قطعة المعدن الصغيرة.

في أعقاب هذا تم طرح توصية الحاخام ليفي بيستريسكى، رئيس قطاع الأطعمة الشرعية في "الحاخامية الرئيسية" التي أكد فيها أنه على كل الحاخامات في إسرائيل وكل أطقم الإشراف استخدام القطع المعدنية فقط لتمييز اللحوم ومنتجاتها. فقد ذكر في ١٩-٨-١٩٩٦: بناء على الخبرة والتجربة اتضح أن الأسلوب الأكثر أمنا لوضع علامات "الكشيروت" على الطيور والديوك الرومي، واللحوم ومنتجاتها هو وضع قطعة معدنية. كما أكد الحاخام بيستريسكى في بيانه الذي وزعته الحاخامية الرئيسية:

إنني أوصي كل الحاخامات في إسرائيل والعالم باستخدام القطع المعدنية،
لتمييز اللحوم ومنتجاتها"^(١).

وفي هذا تشديد على عدم اتاحة الفرصة لتزوير خاتم الكشירות مما يهدم نظام
الكشירות ومكاسبه الاقتصادية وما يترتب عليه من نفوذ من أساسه.

وجاء في "هتسوفيه" تحت عنوان "الحاخامية الرئيسية في إسرائيل أجرت خلال
الستة أشهر الأخيرة ٢٧٠٠ عملية فحص للأطعمة الشرعية":

"أظهرت بيانات أبلغتها شركة "عندان" المكلفة من قبل "الحاخامية
الرئيسية" بإجراء عمليات التفتيش لأمين عام "الحاخامية الرئيسية"
جداليا شريفير أن ٢٧٠٠ عملية تمت في الستة أشهر الأخيرة على يد
مفتشين من قبل "الحاخامية الرئيسية" لإسرائيل.

والمقصود زيارات فحص تم اجرائها لأعمال خاصة وشركات لانتاج
وتوزيع الأطعمة يشبه في أن صاحبها يخالف قانون حظر غش
"الكشירות".

ويتضح من البيانات التي تجمعت في التقرير الذي تم تقديمه للأمين العام
أن ٦١٪ من إجمالي من تم التفتيش عليهم اتضح أنهم على ما يبدو يغشون
في "الكشירות".

في ٢٠٪ من الحالات اتضح أن صاحب المكان وزع منتجات مدون عليها
كلمة "كاشير"، رغم أنها لم تحصل على تصديق الحاخامية الرئيسية
لإسرائيل، ٤٥٪ من الحالات المشتبه في كونها تخالف القانون، عبارة عن
مطاعم تباع أطعمة تقدم على أنها "كاشير" على الرغم من أن المطعم لم
يحصل على "شهادة كشירות" من الحاخامية.

واتضح أيضا أن ١٠٪ من حالات الغش عبارة عن مطاعم باعت أطعمة
على أنها "كاشير"، على الرغم من أن فترة صلاحية شهادة "الكاشير"
الخاصة بها قد انتهت.

(١) "סדרי הכשרות הקפדניים- במוקדי כינוסי רבני המשחטות מטעם הרבנות
הראשית לישראל"، הצופה، 27-2-1997، עמ' 10.

كل مشتبه في كونه لم يلتزم بقانون حظر غش "الكشירות"، وجه إليه المفتشون التابعون للحاخامية إنذارا، ومن سبق توجيه إنذار له، وتبين خلال التفتيش أنه غير ملتزم تم توقيع غرامات عليه. مقدار الغرامة يبلغ ألف شيكل على كل صاحب محل وألفي شيكل على كل شركة.

أمين عام الحاخامية الرئيسية لإسرائيل جداليا شريفير قال إن البيانات التي انضحت من التقرير تشير إلى ضرورة الاستمرار في الاهتمام بفرض قانون حظر غش "الكشירות"، حتى لا يضل سلك إسرائيل من اليهود، حيث أن ٨٠٪ منهم يأكلون أطعمة "كاشير"^(١).

ويتضح من الاقتباس السابق أن معدلات غش الأطعمة والادعاء بأنها حاصلة على شهادة "كشירות" مرتفعة، حيث تجاوزت نسبة الخمسين في المائة. كما يتبين أن مراقبة الالتزام بقواعد تضمن الحصول على شهادة تفيد ذلك، مع تجديدها بشكل دوري يتيح مميزات مادية ومعنوية كبيرة للحاخامية الكبرى، وكل من يطالبون بضرورة الالتزام بقواعد "الكشירות". وهو الأمر الذي من شأنه خلق مشاحنات وخلافات كثيرة ومتشعبة بين القوى الدينية وممثليها من الجهات الرقابية من جهة، والعلمانيين وأصحاب المطاعم والمصانع من جهة أخرى.

وفي الاتجاه نفسه نشرت صحيفة "يتيد نثمان" تحت عنوان "دهشة وصدمة في لجان كشירות "مهديرين": تعرض مراقب كشירות تابع لقاهال محزقي هدت" لضرب مبرح من قبل صاحب مصنع:

"أهرب كل رؤساء لجان "الكشירות لمهديرين" في الأرض المقدسة عن صدمتهم واستنكارهم إزاء العنف والهمجية تجاه مراقب "كشירות" بعد أن ألغى "الكشירות" من المصنع.

ووقت الحادثة بالأمس بعد الظهر عندما وصل مراقب كشירות تابع لقاهال محزقي هدت)، المفوضة من حسيدي بعلازا، لتفقد معتاد على

(١) "הרבנות הראשית לישראל ביצעה בחצי השנה האחרונה 2700 בקורות כשרות"، הצופה.

مصنع بقول "تفلينى مكفر" فى اشدود. المراقب دخل المصنع واكتشف
أن العاملين فى المصنع يعبثون فواكة مجففة ويقول لم يتم إقرار تسويقها من
قبل المحكمة الحاخامية"^(١).

يتبين لنا من الاقتباس السابق أن فى بعض الحالات يصل الخلاف حول قضية
"الكشירות" ومدى الالتزام بها إلى حد ضرب مراقب "الكشירות"، خاصة ولو
لم يتم التراضى بين صاحب المصنع أو المطعم والمراقب، وهو ما حدث فى الواقعة
التي تبنت فيها صحيفة "يتيد نئمان" الناطقة بلسان التيار الليتوانى الحريدى وجهة
نظر مراقب "الكشירות" واستنكرت الواقعة، وأبرزت استنكار لجان مراقبة
الكشירות لها. وهو موقف متعاطف ومنحاز لمراقب "الكشירות".

ويؤكد الاتجاه السابق ما نشرته جريدة ماقور ريشون بقلم موشيه كاتس حيث
جاء فى تقرير مطول يتحدث عن "عدم تقديم خدمات أساسية لـ(عرب إسرائيل)
بسبب تدهور الأوضاع الأمنية على خلفية قومية، على الرغم من أن إجمالى القتلى
اليهود "قتيلان على مدى ١٥ سنة" وكذلك رفض الشرطة الإسرائيلية تأمين
مندوبى الهيئات الخدمية مثل التأمين القومى على الصحة والتليفونات ناهيك عن
تكبد مطاعم فلسطينية مصروفات باهظة لشراء سيارة مصفحة (ثمانها ٦٠ ألف
شيكل) واستئجار حارس خاص (براتب ٧٠٠٠ شيكل شهريا) حتى يحضر مراقب
من الحاخامية العليا فى إسرائيل لكى يقر بأن الأطعمة التي تقدم مطابقة للشريعة
اليهودية"^(٢). وهى بالفعل عنصرية تثير الاستهجان والغضب، على المستوى
الرسمى والشعبى ويجب أن تحظى أيضا باهتمام أكاديمى أوسع.

كتب المتحدث الرسمى باسم الحاخامية الكبرى فى هتسوفيه تحت عنوان "ردا
على السؤال من يحتاج للحاخامية الكبرى" مقالا جاء فيه:

(١) أ. كهن، "תדהמה וזעזוע בועדי כשריות מהדרין"، יתד נאמן، 21-1-2000،
עמ' 1.

(٢) משה כץ، מקור ראשון، 4-7-2003

"...بشكل مجال "الكشירות" لواء الصدارة للحاخامية الكبرى لإسرائيل. أكثر من ٨٠٪ من الجمهور اليهودي في إسرائيل حسب أبحاث حول الموضوع- اعتاد على تناول الطعام "الكاشير". في السنوات الأخيرة في الحاخامية الكبرى تم الاتجاه نحو مزيد من التخصص، بتحويل قسم "الكشירות" لإدارة، وتم تدعيمها بكوادر بشرية مدربة.

وتغطي مجالات مختلفة لها ارتباط مباشر بموضوع الكشירות باهتمام حقيقي، على سبيل المثال استيراد الأطعمة، الذبح خارج إسرائيل، وشرائع متعلقة بالأرض، وفي العامين الأخيرين فرض قانون حظر الغش في "الكشירות".

حقا العمل كثير. ونحن نرحب بالاقتراحات البناءة.

وعلى الرغم من أن أنشطة الحاخامية الكبرى في مجال "الكشירות" يتم التعبير عنها في وسائل الإعلام، بشكل أساسي في أقسام الاقتصاد، فإن غالبية ما يقوم به العاملون في الإدارة يتم بعيدا عن الأضواء.

لم اعتد استخدام تعبيرات مبالغ فيها، على غرار: عدد كبير من الناس يعتقدون أن التعامل مع موضوع "الكشירות" شهد ثورة. لكنني فقط أقول إننا نتحدث عن عمل دؤوب، لا يمكن تقييمه فقط بأعداد الأشخاص الذين يتزودون باطعمة تم إجازتها من الحاخامية الكبرى. والحاخامية الكبرى لا تعنزم تدشين حملة إعلامية لإجازة الأطعمة من قبلها. فإجازة الأطعمة ليست منتج. الحفاظ على "الكشירות" قيمة^(١).

ومن الاقتباس السابق يتبين لنا أن الصحيفة، وهي تعبر عن مواقف "الصهيونية الدينية"، تروج لأهمية "الكشירות" من خلال تخصيص مساحة لاحصاء نشاط

(١) "הרבנות הראשית לישראל ביצעה בחצי השנה האחרונה 2700 בקורות כשרות". הצופה، 30 - 5 - 1997، עמ' 13.

الحاخامية الكبرى في هذا الشأن وتقديمها بشكل إيجابي، وكأنها إنجازات، بل وجوهرة التاج بالنسبة للحاخامية الكبرى.

وفي الاقتباس التالي نجد مساواة في الخطورة وارتباط في قضايا الإكراه الديني حيث ذكرت صحيفة هتسوفيه:

"مخاوف من تسليح إصلاحيين لمنظومة الذبح في لندن تم مناقشتها في جلسة إدارة اتحاد الطوائف الحريدية في مناقشات لجنة إدارة اتحاد الطوائف الحريدية في لندن والتي عقدت في الأسبوع الماضي طرح المشاركون في الجلسة مخاوف من أن التدخل الحكومي في الإشراف على الذبح من شأنه أن يشكل وضعاً يجعل أعضاء من طوائف إصلاحية يطلبون الحصول على تراخيص للعمل كجزارين (شرعيين).

خلال الجلسة كشف رئيس الإدارة رئيس الاتحاد الحاخام دافيد براهند أن "كندا" (منظومة التصريح بمطابقة الأطعمة للشريعة) توقفت عن منح شهادات بمطابقة أطعمة للشريعة لمحللات البقالة (الأطعمة الجافة). هذه الظاهرة كانت اختراعاً لا بد منه بعد أن بدأت محلات بيع الأطعمة الجافة بشكل مطرد في تسويق منتجات مستوردة من هيئات حريدية للتصريح بمطابقة الأطعمة بشكل خاص من الولايات المتحدة ومن "أرض إسرائيل". زيادة عمليات التصريح بمطابقة الأطعمة والمنتجات منع "كندا" من تحمل مسؤولية منع هذا التصريح".^(١)

ويتبين لنا من الاقتباس السابق أن الصحافة الدينية تعتبر أن تقديم شهادات "كشروت" من قبل حاخامات لا ينتمون للمعسكر الأرثوذكسي، يعد خطراً يجب التحذير منه ومن عواقبه، وكذلك التصدي له، خاصة وأن الصحيفة تعتبر تفويض حاخامات لا ينتمون لنفس التيار الديني بالبت في قضية "الكشروت" يعد تسليلاً، أي اتجاهها غير قانوني مطرد يهدف لتفويض الخدمات الدينية كلها. وفي هذا إنكار

(١) "הרבנות הראשית: הכנסת רפורמים למועצות הדתיות תביא לקריסת שירותי הדת"، הצופה: 17-1-1996، עמ' 6.

كامل للتيارات الدينية الأخرى التى تحرص على تناول الطعام الكاشير، وإنكار فى حقها منح شهادات "كشيروت" لأن هذا يعنى ضمنا الاعتراف بها، ناهيك عن عدم ضمان التزامها الفعلى الصارم بقواعد "الكشيروت".

ونخلص من كل ما سبق إلى أن القوى الدينية تشدد على عدم التهاون فى تطبيق قواعد الكشيروت، أو مكاسبها الناجمة عن احتكار مؤسسات بعينها لعملية منح شهادات الكشيروت أو الرقابة على المصانع والأماكن التجارية والسياحية، وتخوف من وجود عمليات تزوير لتلك الشهادات، وتتصدى بقوة لكل من يهاجم نظام الكشيروت أو القائمين على مراقبته.